لمحات من التاريخ الإسلامي

أ.د: الحسن العلمي

جامعة ابن طفيل – القنيطرة

1- روايات سقيفة بني ساعدة في الميزان

نسج الإخباريون والمؤرخون حول هذه الواقعة b أخبارا باطلة وروايات مفتعلة تصور الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ رعاعا من القبائل والأحزاب المتناحرة يتهافتون وراء الأهواء والأطماع ، ويتصارعون ويلعن بعضهم بعضا بعدما كانوا مع رسول الله أشداء على الكفار رحماء بينهم . قد ودبت هذه الأباطيل بين المتأخرين دبيب النار في حصاد الهشيم ، فقسموا الصحابة إلى يمين ويسار وجعلوا من الحبة قبة ومن الخلاف الفرعي أزمة ونسبوا إلى الصحابة ما شاؤوا من التهم والألقاب.

ومن أباطيل المؤرخين في خبر السقيفة ما ساقه اليعقوبي والمسعودي وابن الأثير في تواريخهم عن حوادث سنة إحدى عشرة للهجرة نذكر منها ما يلي :

روى اليعقوبي بغير سند ، قال :"واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يوم توفي رسول الله ﷺ ..فأجلست سعد بن عبادة الخزرجي وعصبته بعصابة وثنت له وسادة ، وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين فأتوا مسرعين ونحوا الناس عن سعد.. فوثب بشير بن سعد من الخزرج فكان أول من بايعه "أي أبا بكر" من الأنصار ، وأسيد بن حضير الخزرجي ، وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر وسادة سعد بن عبادة...قال : وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب ، منهم العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي ، وابو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب"[1].

ويزيد ابن الأثير هذه الصورة وضوحا حيث يقول :"فقال عمر هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم ، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة على من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته"[2].

فاليعقوبي في الرواية السابقة لا يستحيي أن يتهم من سرد أسماءهم من الصحابة أنهم تخلفوا عن بيعة أبي بكر - مع أن الروايات الصحيحة تنص على أنه لم يتخلف عن بيعة أبي بكر إلا من ارتد أو كاد أن يرتد كما روى ذلك الطبري - [3] وذلك مجاراة لغلوه في الرفض كي يثبت أن التشيع مذهب أصيل له رواده الأوائل من كبار الصحابة الذين ذكر أنهم اعتزلوا جماعة المسلمين وانزووا مع علي في بيت فاطمة .

ونجده يزيد في هذا الباطل إمعانا ويقول :"وكان خالد بن سعيد غائبا فقدم فأتى عليا فقال هلم أبايعك فوالله ما في الناس أحدا أولى بمقام محمد منك ، واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة له ... وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله ﷺ ،

1 - "تاريخ اليعقوبي" : 2/ 123 ، 124.
2 - "الكامل في التاريخ" : 2/ 193.
3 - "تاريخ الطبري" : 3/ 207.

فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار ، وخرج علي ومعه السيف فلقيه عمر ، فصارعه عمر فصرعه وكسر سيفه ، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت : والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله ! فخرجوا وخرج من كان في الدار ، وأقام القوم أياما ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ولم يبايع علي إلا بعد ستة أشهر"[1] .

فإن الرافضة الذين يسبون ابا بكر وعمر ينسبون إليهما كل نقيصة ويسمونهما الجبت والطاغوت يهون عليهم أن يقولوا أكثر من هذا ، ويضعوا في مثالب الصحابة أفحش من هذه الأخبار.

وقد ضعف المحدثون هذه الأخبار لضعف أسانيدها ولمعارضتها للروايات الصحيحة الثابتة عند أئمة الحديث ، ومن هؤلاء ابن كثير في البداية والنهاية والإمام القسطلاني في شرحه للبخاري ، وغيرهما .

قال القسطلاني «وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن عليا بايع أبا بكر أول الأمر ، قال : وأما ما في مسلم عن الزهري من أن رجلا قال له لم يبايع علي حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها ، قال : ولا احد من بين هاشم ، فقد ضعفه البيهقي بأن الزهري لم يسنده ... وأما الرواية الموصولة عن أبي سعيد فأصح» [2]

وقد ورد في صحيح الإمام البخاري حديث البيعة الثانية التي بايعها علي أبا بكر رضي الله عنه ، فتوهم كثير من الناس أن عليا لم يبايع يوم السقيفة ، وانساقوا مع أكاذيب الشيعة ، قال ابن حجر معلقا على الحديث:« وقد تمسك الرافضة بتأخر علي عن بيعة أبي بكر إلى أن ماتت فاطمة وهذيانهم في ذلك مشهور وفي الحديث ما يدفع حجتهم...وعلى هذا فيحمل قول الزهري لم يبايعه علي في تلك الأيام على إرادة الملازمة له والحضور عنده وما اشبه ذلك ، فإن في انقطاع مثله عن مثله ما يوهم من لا يعرف باطن الأمر أنه بسبب عدم الرضا بخلافته ، وبسبب ذلك أظهر علي البيعة التي بعد موت فاطمة عليها السلام لإزالة هذه الشبهة» [3].

ويعزز هذا ما رواه الإمام الطبري بسند صحيح من طريق عبيد الله بن سعد بن إبراهيم الزهري أحد رجال البخاري روى عنه في الصحيح ووثقه أبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم[4] : عن عمرو بن خالد بن حريث أنه قال لسعيد بن زيد :«أشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال :نعم ، قال : فمتى بويع أبو بكر؟ قال : يوم مات رسول الله ﷺ ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة ، قال : فهل خالف عليه أحد ؟ قال : لا ، إلا من ارتد أو كاد أن يرتد ، لولا أن الله ينقذهم من الأنصار ، قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم»"[5].

وعن حبيب بن أبي ثابت قال :"كان علي إذ أتى فقيل له : قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء ، عجلا كراهية أن يبطئ عنها حتى بايعه ، ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه ، فتجلله ولزم مجلسه "[6] . وفي رواية أخرى من طريق محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي، قال فيه أبو حاتم :"ثقة" ، وقال النسائي :"لا بأس به" وذكره ابن حبان في الثقات[7] بسنده قال :"قال أبو سفيان لعلي : ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟ والله لئن شئت لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فقال علي : يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام وأهله

1 - "انظر "تاريخ اليعقوبي" : 2/ 126.
2 - "إرشاد الساري" : 6/ 377 ؛ وانظر "البداية والنهاية" : 5/ 286.
3 - "فتح الباري" : 7/ 495.
4 - انظر ترجمته في "تهذيب التهذيب" : 7/ 15.
5 - "تاريخ الطبري" : 3/ 207.
6 - "تاريخ الطبري" : 3/ 207.
7 - "تهذيب التهذيب" : 9/ 300.

ولم تضره بذلك شيئا ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا "[1] .

فأين ما ساقه اليعقوبي من الأباطيل والترهات المقطوعة الزمام من هذه الروايات الثابتة عند أئمة الحديث ، وهي تدل على أن مسألة البيعة والخلافة كانت شورى بين المسلمين وأنه لم يتخلف عن بيعة أبي بكر أحد من الصحابة لا من المهاجرين ولا من الأنصار.

أما ما ذكره اليعقوبي وابن الأثير من قول عمر :«اقتلوا سعدا قتل الله سعدا» [2] فقد أورده الطبري بسند معلق عن هشام الكلبي عن أبي مخنف ، وكلاهما حلقة من حلقات الدس والتحريف في التاريخ الإسلامي وزادا في هذه الرواية "ثم قام على رأسه ـ أي عمر ـ وقال : لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك ، فأخذ سعد بلحية عمر فقال : والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة...[3] أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع ! احملوني من هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه في داره وترك أياما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك ، فقال : أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي ، وأخضب سنان رمحي ، وا ضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي ، فلا أفعل ، وأيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم ... قال : فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ، ويحج ولا يفيض معهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله"[4].

وقد ذكر الحافظ الذهبي نحوا من الرواية من طريق الواقدي عن محمد بن صالح بن دينار التمار عن الزبير بن المنذر بن أبي أسيد الساعدي ، وفيها أنه قال :"والله لا ابايعكم حتى أقاتلكم بمن معي" واكتفي في الرد عليها بقوله "إسنادها كما ترى"[5] ، أي في غاية الضعف لأن الواقدي متروك[6] . وقصة الخصام بين عمر وسعد بن عبادة وما ذكروا من تخلفه عن الجماعة في الصلاة والحج حتى مات أبو بكر رضي الله عنه ، اعرض عن ذكرها أئمة الحديث لأنها من موضوعات الشيعة ، ولأن الروايات تشهد بخلاف ذلك ، فقد نص الحافظ ابن كثير ـأن سعد بن عبادة سلم للصديق بالخلافة وبايعه ، ثم خرج بعد ذلك إلى الشام ومات هناك بقرية حوران رحمه الله سنة 13 هـ ، وأظهر شكه فيما نقله المؤرخون من أنه خرج مفارقا لأبي بكر غير راض بخلافته فقال :وقد ذكر ابو عمر بن عبد البر ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصديق حتى خرج إلى الشام فمات بقرية حوران سنة ثلاثة عشرة في خلافة الصديق..قلت أما بيعة الصديق فقد روينا في مسند الإمام أحمد أنه سلم للصديق ما قاله من أن الخلفاء من قريش ، أما موته بأرض الشام فمحقق"[7] .

وقد ساق حديث الإمام أحمد في أول كلامه عن أحداث السقيفة قال أحمد : "حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن داود بن عبد الله الأودي عن حميد بن عبد الرحمن : قال توفي رسول اللهﷺ وابو بكر رضي الله عنه في صائفة من المدينة... إلى ان قال ..ـ أي ابو بكر ـ : لقد علمتم أن رسول اللهﷺ قال : لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار واديا سلكت وادي الأنصار ، ولقد علمت يا سعد أن رسول اللهﷺ قال وأنت قاعد : قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ، فقال له سعد : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء"[8].

---

1 - " تاريخ الطبري" : 3/ 209.
2 - تاريخ اليعقوبي : 1/ 123 .
3 - أي لكسر أسنان عمر وهو من أقبح البهتان !
4 - "تاريخ الطبري" : 3/ 222.
5 - "سير أعلام النبلاء" : 2/ 277 وأصل الخبر في طبقات ابن سعد : 3/ 616 ، 617.
6 - أما محمد بن صالح فهو صدوق يخطئ وقال أبو حاتم ليس بالقوي والزبير بن المنذر لا يكاد يعرف (انظر ميزان الاعتدال : 3/ 581 ، 2/ 68).
7 - "البداية والنهاية" : 7/ 34.
8 - السابق : 5/ 217.

قال ابن كثير :"ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر ...وظهر له أن رسول اللهﷺ لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس"[1] .

فلا يغرنا بعد ذلك ما يروجه المؤرخون من أكاذيب الشيعة ، فإنهم أكذب الطوائف على الإطلاق والكذب فيهم قديم و عريق كما قال ابن تيمية رحمه الله[2].وجل ما نسب إلى الصحابة من الأكاذيب في تاريخ الخلافة وأحداث الفتنة كان من جهتهم ومن يراجع كتاب "وقعة صفين" لنصر بن مزاحم الذي يروي فيه عن خلائق من غلاة الشيعة كجابر الجعفي وعمرو بن شمر وابي مخنف وعمر بن سعد الأسدي ، وتاريخ اليعقوبي ، ومروج الذهب للمسعودي ، والغارات لابن هلال الثقفي ، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ، والأغاني أيضا يجد كل منكر وقبيح من القول مما لا يستسيغ مسلم عاقل تصديقه والتسليم به .

2- قصة خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة

وقد أبدى المؤرخون في هذه القصة وأعادوا وذكروا فيها أخبارا شنيعة تطعن في عرض خالد بن الوليد وعدالته ، وتظهره بصورة المتهور في دينه المتجرئ على حرمات الله في قتل من لم يثبت كفره إرضاء لرغبته وهواه في الزواج من امرأة ، وهي مثل الفرية التي نسبها اليهود من بني إسرائيل لداود عليه السلام قديما.

فرووا في ذلك أن خالدا بعد أن فرغ من أمر فزارة وغطفان واسد وطئ في حروب الردة مال إلى ديار مالك بن نويرة في البطاح[3]...فبث السرايا وامرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب ، وإن امتنع أن يقتلوه ، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلا فإن أذن القوم كفوا عنهم وإن لم يأذنوا قتلوا منهم ونهبوا وإن أجابوهم إلى داعية الإسلام سألوهم عن الزكاة فإن أجابوا وإلا قتلوا ، قالوا : فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة"[4].

وحبك بعض المؤرخين في ذلك قصة من نسج الخيال ، فذكروا من طريق الموقري عن الزهري ، «أن خالدا بعث أبا قتادة في سرية إلى مالك ، فرجع وشهد أنهم وضعوا السلاح وأعلنوا الإسلام ، وشهد آخرون بغير ذلك فقتل خالد مالكا وأصحابه ، فركب أبو قتادة إلى أبي بكر ، وقال له :" تعلم أنه كان لمالك عهد وأنه ادعى إسلاما ، وإني نهيت خالدا ، فترك قولي وأخذ بشهادة الأعراب الذين يريدون الغنائم ، فقام عمر فقال : يا ابا بكر إن في سيف خالد رهقا ، وإن هذا لم يكن حقا ، فإن حقا عليك أن تقيده ، فسكت أبو بكر»"[5].

وذكر اليعقوبي قولا آخرا ينال فيه من عرض خالد ، قال :"فأتاه مالك بن نويرة يناظره واتبعته امرأته ، فلما رآها خالد أعجبته فقال : والله لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك ، فقرب مالكا فضرب عنقه وتزوج امرأته"[6].

وأضاف أبو الفرج الأصفهاني إلى أباطيل الإخباريين زورا وبهتانا وأطلق لقلمه العنان في الطعن على خالد فروى :«أن ليلى كانت مع زوجها وهو يناظر خالدا ، فلما سمعته يقول : إني قاتلك ووالله لأقتلنك ، ألقت بنفسها على قدمي خالد تلتمس منه العفو ، وقد انسدل شعرها على كتفيها ، وبلل الدمع عينين منها زانهما الحور ، فنظر خالد إليها نظرة هوى وإعجاب ، فصاح مالك : إني مقتول لا محالة ، فقال خالد : ما لهذا والله إنما قضى عليك كفرك

1 - السابق : 5/ 219.
2 - انظر "منهاج السنة النبوية" : 1/ 37.
3 - البطاح : بضم الباء ، هي منازل بني يربوع قوم مالك بن نويرة (انظر القاموس المحيط : 1/216).
4 - انظر "الكامل في التاريخ" : 2/217.
5 - انظر "تاريخ الطبري" : 3/278 ؛ "الأغاني" : 15/301.
6 - انظر "تاريخ اليعقوبي" : 2/131.

وأمر بضرب عنقه» [1].

قالوا فخلفه على امرأته وزادوا في القصة باطلا ذكره الطبري من طريق ابن حميد عن سلمة :«أنه لما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال : عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته ، واقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء له صدأ الحديد معتجرا بعمامة لهع قد غرز في عمامته سهما فلما دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم وحطمها ثم قال : أرثاء قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك»[2] .

وهذا كله من دس الحانقين على الإسلام وابطاله المجاهدين، ولم يرو شئ منه بسند متصل ، فضلا عن أن يكون رجاله ثقاتا ، فجل من دارت عليهم أسانيد هذه الأخبار من الضعفاء ، والكذابيين منهم الموقري راوي الخبر عن الزهري ، وهو الوليد بن محمد ت 181 هـ ،«أجمع الأئمة النقاد على ضعفه واتهموه أنه يروي عن الزهري أحاديث ليس لها اصول ، وروى عنه أشياء موضوعة لم يروها الزهري قط»[3].

أما اليعقوبي وصاحب الأغاني فكلاهما معروف حاله في الكذب والتشيع ، فلا يعتمد على رواياتهما في هذا المجال . وقد قرر المحدثون أن قتل خالد لمالك بن نويرة كان بسبب مقالة الكفر التي نطق بها ، وبعد تأكد خالد بن الوليد من أنه ارتد وكفر ، وليس لمجرد ما ذكره المؤرخون من الترهات السخيفة .قال الملا علي القاري :"وأما قتل خالد لمالك بن نويرة لما قال له : كان صاحبكم يقول ، فقال صاحبنا وليس صاحبكم ، فليس بمجرد ذلك ، بل لسماعه عنه أنه ارتد وتأكد ذلك منه بهذه اللفظة ، كذا قرر جمع"[4].

وقد ذكر ابن حجر خبر ردته وإقراره بالكفر حيث قال في ترجمته :"مالك بن نويرة...وكان النبي r قد استعمله على صدقات قومه فلما بلغته وفاة النبي r أمسك الصدقة وفرقها في قومه وقال :

فقلت خذوا أموالكم غير خائف *** ولا ناظر فيما يجئ الغد

فإن قام بالدين المحوق قائم *** أطعنا وقلنا الدين دين محمد

فقتله ضرار بن الأزور صبرا بأمر من خالد بن الوليد بعد فراغه من قتال الردة ، ثم خلفه خالد على زوجته"[5] قال :"وروى ثابت بن قاسم في الدلائل أن خالدا رأى امرأة مالك وكانت فائقة الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته قتلتِني ـ يعني سأقتل من أجلك ـ وهذا قاله ظنا فوافق أنه قتل ولم يكن قتله من أجل المرأة كما ظن"[6].

وغاية ما صح في شأن خالد بن الوليد أن أبا بكر وعمر عاتباه على الزواج في الحرب لما كان من شأن العرب من كراهته أيام القتال[7] ، ولو كان خالد عاصيا لله فيما فعل طمعا في هوى أو شهرة لأنكر ذلك كبار الصحابة الذين كانوا معه من المهاجرين والأنصار ولبلغ ذلك أبا بكر فاقتص منه.

أما ما نُسب إلى عمر من الكلام الفاحش في حق خالد بن الوليد من قوله "يا عدو الله قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته ، لأرجمنك بأحجارك" فإنه لم يثبت من وجه صحيح، وهو معارض بالروايات الصحيحة عن عمر

1 - راجع "الأغاني" : 14/64.
2 - "تاريخ الطبري" : 3/280 ؛ وانظر "أسد الغابة" : 4/295.
3 - انظر "تهذيب التهذيب" : 11/148 ؛ "ميزان الاعتدال" : 4/346.
4 - نقلا عن : محمد بن القاسم جسوس :شرح الشمائل الترمذية" : 163.
5 - "الإصابة" : 3/336.
6 - المصدر السابق : 3/337.
7 - راجع "تاريخ الطبري" : 3/278.

رضي الله عنه في عزل خالد بن الوليد عن قيادة جيش المسلمين بالشام حين تولى الخلافة ، ولو صح ذلك لقتل خالد بن الوليد لأن حدود الله لا تحابي أحدا ، وقد ثبت عند الأئمة النقاد أن عمر لم يعزل خالدا لطعن في خلق أو دين ، وإنما لما كان يروى من استقلاله في الرأي وجرأته في التصرف أحيانا دون مشورة ابي بكر ، ولم يكن ابو بكر يرى بذلك باسا وكان عمر يكره ذلك.

فقد نقل ابن حجر عن الزبير بن بكار أنه قال :"لما حضرت خالدا الوفاة أوصى إلى عمر ، فتولى عمر وصيته وسمع راجزا يذكر خالدا ، فقال : رحم الله خالدا فقال له طليحة بن عبد الله :

لا اعرفنك بعد الموت تندبني *** وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال عمر : إني ما عتبت على خالد إلا في تقدمه وما كان يصنع في المال"[1].

فهذه شهادة عمر لسيف الله خالد بن الوليد ، فليت شعري اي دين وحياء لهؤلاء المؤرخين الذين يذكرون فيه العظائم التي هي من شيم الفساق المستهترين ، والصعاليك المتلصصين ، الذين كانوا يغيرون على القبائل والمدن بعد خلوها من الرجال ليرتكبوا الموبقات ويسموا ذلك فتحا عظيما ، أما أبطال المجاهدين من القادة الفاتحين فقد سجل التاريخ الإسلامي الصحيح مواقفهم الأخلاقية الكريمة بمداد الفخر والاعتزاز من خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة بن الجراح إلى موسى بن نصير وحتى ايام صلاح الدين الأيوبي ، ولا زال يشهد بعظم مكانتهم الأعداءُ قبل الأصدقاء.

3- ثورة أهل الأمصار وفتنة عبد الله بن سبأ اليهودي

ويقال له ابن السوداء أصله من صنعاء ، كان يهوديا فأظهر الإسلام وتستر بحب آل البيت ، ظهر في زمن عثمان رضي الله عنه ، وكانت دعوته أول شرارة في ظهور الفتنة بين المسلمين من أهل الأمصار خاصة مصر والكوفة والبصرة[2].

وهو أول من ألب الناس على عثمان ، وأظهر الرفض والتشيع ، فتبعه طائفة من غوغاء الأعراب والمنافقين من أهل الأمصار ، قال ابن كثير :"وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلا يقال له عبد الله بن سبأ ، كان يهوديا فأظهر الإسلام وصار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه مضمونه أنه يقول للرجل : "أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ، فيقول الرجل : نعم ، فيقول له : فرسول اللهﷺ أفضل منه ، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، ثم يقول : وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب ، فمحمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ، ثم يقول :فهو أحق بالإمرة من عثمان ، وعثمان معتد في ولايته ما ليس منه ، فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر ، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة فتمالئوا على ذلك وتكاتبوا فيه وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان"[3].

وهو الذي أدخل على الشيعة بدع الوصية والرجعة والغيبة والقول بألوهية علي[4]، وكان من رؤوس الغلاة الزنادقة ، قال ابن حزم :«والقسم الثاني من الفرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من اصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة : أنت هو ، فقال لهم : ومن هو ؟ قالوا : أنت الله ، فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار :

1 - انظر "الإصابة" : 2/415 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 1/382.
2 - انظر ترجمته في "ميزان الاعتدال" : 2/ 426 ؛ "لسان الميزان" : 3/ 289 ؛ "تهذيب تاريخ دمشق" : 7/ 438.
3 - "البداية والنهاية" : 7/ 167 ، 178.
4 - ومن ثم قال من خالف الشيعة : أن أصل التشيع مأخوذ من اليهود (انظر "مختصر التحفة الإثني عشرية" : 299).

الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله» . وفي ذلك يقول رضي الله عنه :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا *** أججت نارا ودعوت قنبرا[1]

وقد جلبت فتنته على المسلمين شرا كثيرا ، وفتن به خلق من الناس ، قال ابن عساكر : وكان يهوديا فأظهر الإسلام ، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر ، ودخل دمشق في زمن عثمان رضي الله عنه فأخرجه أهلها"[2]. وقال عنه الإمام الذهبي :" من غلاة الزنادقة ضال مضل أحسب أن عليا حرقه بالنار"[3] وقد سمي أتباعه "السبئية" واستمرت حركته إلى قرون متأخرة كما ذكر ابن حزم[4].

4-الفتنة الكبرى ومقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه

وتسمى الباب المفتوح في التاريخ الإسلامي ، وقد كانت أول فتنة وقعت في الإسلام ، وأول خرق دخل منه على المسلمين شر كثير ، قال الحسن البصري :"لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكن كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دما"[5].

والمحدثون وأهل السنة مجمعون على أنه قتل مظلوما ، وأن الذين قتلوه كانوا من أوباش الأعراب والمنافقين من أتباع عبد الله بن سبأ والمارقين عن جماعة المسلمين من أهل الأمصار ، وأنه لم يكن للصحابة رضي الله عنهم يد في قتله ولا أسلموه ولا رضوا بذلك.

قال ابن كثير «تكاتب أهل مصر وأهل البصرة وأهل الكوفة وتراسلوا ، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين كانوا بالمدينة ، وعلى لسان علي وطلحة والزبير يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم... وخرج أهل مصر في أربع رفاق المقلل لهم يقول ستمائة ، والمكثر يقول ألف ، على الرفاق **عبد الرحمن بن عديس البلوي ، وكنانة بن بشر الليثي ، وسودان بن حمران السكوني ، وقتيرة السكوني وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي** ، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجا ومعهم ابن السوداء ، وكان أصله روميا فأظهر الإسلام وأحدث بدعا قولية وفعلية قبحه الله ...قال : فاستأذنوا للدخول ، فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه ، فتجاسروا واقتربوا من المدينة ، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في عسكر عند أحجار الزيت متقلدا سيفه ، فسلم عليه المصريون فصاح بهم وطردهم وقال :"لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان محمد فارجعوا لا صحبكم الله ، قالوا : نعم وانصرفوا من عنده على ذلك ... وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم وساروا أياما راجعين ثم كروا عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها وجمهورهم عند دار عثمان» [6].

فكان ما كان من الأحداث إلى أن قتل شهيدا رضي الله عنه، وقد نص غير واحد من أعلام المؤرخين وأئمة الحديث أنه قد اجتمع عنده في الدار قريبا من سبعمائة من الصحابة يدافعون عنه ، حتى أمرهم عثمان رضي الله عنه بكف أيديهم حقنا لدماء المسلمين[7] .

---

1 - "الفصل في الملل والأهواء والنحل" : 4/ 186.
2 - انظر "تهذيب تاريخ دمشق" : 7/ 431.
3 - "ميزان الاعتدال" : 2/ 426.
4 - انظر "الفصل في الملل" : 4/ 186.
5 - انظر "البداية والنهاية" : 7/ 196.
6 - المصدر السابق : 7/ 173 ،174 ؛ وانظر "تاريخ الإسلام" : 3/ 348 ، 439 ، 440 .
7 - انظر "تاريخ خليفة بن خياط" : 174 ؛ "طبقات ابن سعد" : 3/ 71 ؛ "تاريخ الإسلام" : 3/ 452 وغيرها.

قال ابن سيرين :"كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة لو يدعهم لضربوهم حتى يخرجوهم من أقطارها"[8].ولم يثبت أن أحدا من الصحابة سمح بقتله أو رضي به ، قال أبو محمد بن حزم الأندلسي : «فما رضي أحد منهم قط بقتله ولا علموا أنه يُراد قتله لأنه لم يأت منه شئ يبيح الدم الحرام. » [9].

وقال الحافظ ابن كثير :"وأما ما يذكر بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه و رضي بقتله ، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنهه ، بل كلهم كرهه ومقته وسب من فعله ، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر"[3].

فرية تحريض عائشة رضي الله عنها على قتل عثمان

زعم بعض المغرضين أن إحراق عثمان للمصاحف كان سبب غضب عائشة رضي الله عنها وتحريضها على قتل عثمان ، ونسبوا إليها أنها كانت تقول :" اقتلوا نعثلا فقد فجر، اقتلوا نعثلا فقد كفر"[4]

وهي فرية حاكها المؤرخون الشيعة، بناء على ما كان يطلقه رؤوس الفتنة على عثمان ، قال ابن الأثير في النهاية "كان أعداء عثمان يسمّونه نَعْثَلا تشبيها برجل من مِصر ، كان طويل اللحية اسمُه نَعْثَل.وقيل: النَّعْثَل: الشيخ الأحْمَقُ وذَكَرُ الضباع " [5]

وقد ساقها الطبري من طريق نصر بن مزاحم الرافضي الوضاع ،عن سيف بن عمر التميمي الكذاب ، و قال الطبري : كتب إلي علي بن أحمد بن الحسن العجلي ان الحسين بن نصر العطار قال حدثنا أبي نصر بن مزاحم العطار قال حدثنا سيف بن عمر عن محمد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفي قال وحدثنا عمر بن سعد عن أسد بن عبد الله عمن أدرك من أهل العلم أن عائشة رضي الله عنها "لما انتهت إلى سرف [6] راجعة في طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمه فقالت له مهيم قال قتلوا عثمان رضي الله عنه فمكثوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على علي بن أبي طالب فقالت والله ليت ان هذه انطبقت على هذه إن تم الامر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت إلى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه فقال لها ابن أم كلاب ولم فوالله إن أول من أمال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت إنهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول فقال لها ابن أم كلاب :

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام * وقلت لنا إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت واجتمع إليها الناس فقالت يا أيها الناس إن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما ووالله لأطلبن بدمه [7]،

---

8 - انظر "تاريخ الإسلام" : 3/ 453.
9 - "الفصل في الملل والأهواء والنحل" : 4/ 158 ، 159.
3 - "البداية والنهاية" : 7/ 198.
4 - صحيفة الأيام عدد 448، 28 أكتوبر 2010م، ص : 22 .
5 (النهاية في غريب الحديث 5 \79)
6 - وهو موضع على ستة أميال من مكة على طريق مرو .
7 - تاريخ الأمم والملوك للطبري 3 / 477 ، وانظر " الكامل في التاريخ لابن الأثير : 3/ 100 .

وهي رواية واهية إسنادها مظلم، فنصر بن مزاحم الرافضي كذاب ، قال فيه العقيلي ‘‘كان يذهب إلى التشيع وفي حديثه اضطراب وخطأ كثير’’ [1] وقال الذهبي ‘‘رافضي جلد، تركوه وقال أبو خيثمة: كان كذاباً، وقال أبو حاتم: واهي الحديث، متروك، وقال الدارقطني: ضعيف’’[2] وقال الجوزجاني: كان نصر زائغاً عن الحق مائلاً، .. وقال الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين: نصر بن مزاحم غال في مذهبه’’[3]

وسيف بن عمر كذاب، قال فيه ا بن معين، وابن أبي حاتم : ضعيف الحديث ، وقال النسائي : كذاب ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات، وقال الدارقطني : متروك، وقال ابن عدّي : عامّة حديثه منكر [4] .

وعلى ذلك فهذه رواية لا يعول عليها ولا يلتفت إليها علاوة على مخالفتها للروايات الصحيحة المناقضة لها. وهذا الكلام السجع أعرض عنه أعلام المؤرخين النقاد من أئمة الحديث، لأنه مناقض لصريح قول الله تعالى: محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم [(5)]. وليس من الرحمة والرضوان أن يكفر الصحابة بعضهم بعضا، ويتنابزوا بأبشع الألقاب، فتشبه عائشة عثمان رضي الله عنه بذكر الضباع .وتسمية عثمان بنعثل لم يُعرف إلا على ألسنة قتلة عثمان رضي الله عنه، وأول من سماه بها جبلة بن عمرو الساعدي [6].

وقد بين الحافظ ابن كثير أن ما يرويه المؤرخون من تحريض عائشة للناس على قتل عثمان باطل مدسوس عليها، حيث قال: « قال أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق قال: قالت عائشة حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قتلتموه؟ فقال مسروق هذا عملك: أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم أن يخرجوا إليه، فقالت: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا، قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها، قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إليها، وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله زوروا كتبا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان [(7)].

محمد بن أبي بكر بريء من دم عثمان رضي الله عنهما

زعم بعض الصحفيين المعاصرين أن محمدا بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه هو الذي قتل عثمان، حيث قال: ‘‘كما حاصروه أربيعين يوما ليصيبه محمد بن أبي بكر، أخ عائشة بحربة أردته قتيلا’’[8]

ومحمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان من صغار الصحابة ولد عام حجة الوداع، وترعرع في حجر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنه كان تزوج أمه. وقد خرج على عثمان يطلب ولاية مصر فولاه عليها أول الأمر؛ حقناً للدماء، وتسكيناً للدهماء، وإخماداً للفتنة. وقد صح عند المؤرخين أنه كان ممن اغتر بشائعات الثوار من أعراب الأمصار فثار على الخليفة عثمان وكان مع من حاصروه ودخلوا عليه يوم الدار وأخذ بلحيته، فوعظه عثمان فا ستحيى وندم وتخلى عن الحصار واعتزل الثوار.

وقد سئل سالم عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن محمد بن أبي بكر: "ما دعاه إلى ركوب عثمان؟ فقال: الغضب والطمع، قيل: ما الغضب والطمع؟ قال: كان من الإسلام بالمكان الذي هو به، وغَرَّه أقوام فطمع، وكانت له دالة فلزمه حق، فأخذه عثمان من ظهره ولم يداهن، فاجتمع هذا إلى هذا، فصار مذمماً بعد أن كان محمداً"[9].

وقال ابن عبد البر: وقيل إن محمدًا شارك في دم عثمان، رضي الله عنه، وقد نفى جماعة من أهل العلم والخير أنه شارك في دمه، وأنه لما قال عثمان، رضي الله عنه: (لو رآك أبوك لم يرض هذا المقام منك). فخرج عنه وتركه، ثم دخل عليه من قتله، كما نقل عن كنانة مولى صفية بنت حيي، رضي الله عنها، وكان ممن شهد يوم الدار- أنه لم

1 - الضعفاء للعقيلي (4 /300) ترجمة رقم (1899)
2 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي 4 /253 .
3 - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : 13 /283)
4 - ميزان الأعتدال في نقد الرجال : 2/ 255.
5 - سورة الفتح الآية : 29 .
6 - تاريخ الأمم والملوك للطبري: 4 /365.
7 -" البداية والنهاية لابن كثير : 7 /195
8 - صحيفة الأيام عدد 448، 28 أكتوبر 2010م، ص : 22 .
9 - أخرجه الطبري في تاريخه (2-681) وابن عساكر في تاريخ دمشق (39-305) .

ينل محمد بن أبي بكر من دم عثمان، رضي الله عنه، بشيء"[1]

وقال ابن كثير: " وروى سعيد بن المسيب: أن محمد أبي بكر دخل على عثمان فأخذ بلحيته، فقال له عثمان - رضي الله عنه -: أما والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني، فتراخت يده"[2]. فاستحيا محمد من قوله، وأفاق من سكرته، وظهر له خطؤه، فتذمم من ذلك، وغطى وجهه حياءً، ورجع وحاجز دون عثمان يحميه فلم يفد ذلك؛ لأنه كان بعد فوات الأوان، وتمكن أهل الفتنة والأهواء" [3].

و لو كان محمد بن أبي بكر ممن شارك في قتل عثمان لأخذه علي رضي الله عنه بجريرته، ولم يجرؤ على تقريبه منه، إذ لا يُظن بعلي رضي الله عنه أن يتخذه في جنده وعماله لو كان باء بمقتل عثمان كما زعم المغرضون، وقد ولاه على مصر في خلافته رضي الله عنه ، ولم يكن حازما في أمره فغلبه أهل مصر على أمره وانفض عسكره من حوله ومات بمصر عام 38 هـ.

وكان الذي تولى كبر قتل عثمان رضي الله عنه رأس الثوار "الغافقي بن حرب المصري أمير الحملة، ومعه وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وحكيم بن جبلة البصري، ومالك بن الحارث الأشتر " قال الطبري : "ثم لما أقنعهم الشيطان بالجرأة على الجناية الكبرى كان الغافقي أحد المجترئين عليه وضربه بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار [4]. ثم أجهز عليه كنانة بن بشر التجيبي بنصل ، قال محمد بن الحارث بن هشام المخزومي المدني ت سنة 43 قال : "الذي قتل أمير المؤمنين عثمان هو كنانة بن بشر بن عتاب التجيبى" [5].

وقد ادعى الإخباريون أن عثمان قُتل وظل مطروحا في مزبلة لم يُدفن ثلاثة أيام، وهو كذب مفترى ، قال ابن حزم الأندلسي :« وأما قول من قال إنه رضي الله عنه أقام مطروحا على مزبلة ثلاثة أيام فكذب بحت وإفك موضوع وتوليد من لا حياء في وجهه ، بل قتل عشية ودفن من ليلته شهد دفنه طائفة من الصحابة ... فكيف يجوز لذي حياء في وجهه أن ينسب إلى علي وهو الإمام ومن بالمدينة من الصحابة أنهم تركوا رجلا ميتا ملقى بين أظهرهم على مزبلة لا يوارونه ولا نبالي مؤمنا كان أو كافرا ولكن الله يأبى إلا أ ن يفضح الكذابين بألسنتهم»"[6].

وقد اعتبر سلف الأمة وأهل السنة قتله بابا من ابواب الفتن التي ظهرت في تاريخ المسلمين ، فقد اخرج ابن عساكر بسنده عن سمرة بن جندب أنه قال :كإن الإسلام كان في حصن حصين ، وإنهم ثلموا الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان لا تسد إلى يوم القيامة"[7].

5- خبر معركة الجمل

وقد حاك المؤرخون حول أحداثها كثيرا من الأباطيل ، منها : أن طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم خرجوا طلبا للفتنة وتخذيل الناس عن علي الذي استأثر بالخلافة دونهم كما يزعم المغرضون ، فذكر ابن الأثير أنهم خرجوا إلى البصرة واستولوا عليها وبايعهم الناس فطلبوا محاربة علي ، ونص ابن الأثير كالآتي :"وبايع أهل البصرة طلحة والزبير فلما بايعوها ، قال الزبير : ألا ألف فارس اسير بهم إلى علي أقتله بياتا أو صباحا قبل أن يصل إلينا ، فلم يجبه أحد ، فقال : إن هذه للفتنة التي كنا نحدث عنها"[8].

وروى الطبري من طريق أبي مخنف أن عائشة أرسلت إلى أهل البصرة تأمرهم بالخروج على علي رضي

1 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر : 3/ 1366
2 - أخرجه ابن شبة في أخبار المدينة (2-300) برقم (2363) وابن عساكر في تاريخ دمشق : (39-418).
3 - انظر: البداية والنهاية لابن كثير : 7-149.
4 - تاريخ الأمم والملوك للطبري 5 : 130 .
5 - تاريخ الأمم والملوك للطبري 5 : 132 .
6 - "الفصل في الملل والأهواء والنحل" : 4/ 158 ، 159.
7 - انظر "تاريخ الخلفاء" : 261.
8 - انظر "الكامل في التاريخ" : 3/112.

الله عنه والرواية عن مجالد بن سعيد قال :"لما قدمت عائشة رضي الله عنها البصرة كتبت إلى زيد بن صوحان :

من عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله r إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان ، أما بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا ، فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي"[1].

وجاء المفلسون في علم الرواية ممن لا يحسنون إلا الصياح والنعيق حول الأخبار الباطلة ويسمون ذلك تفسيرا صحيحا للتاريخ الإسلامي وقالوا : إن عائشة خرجت لحرب علي لما كان بينهما من الأحقاد القديمة لأنها سمعت قول علي للنبي r "النساء غيرها كثيرات" في حادثة الإفك ، ولأنتها كانت تريد الخلافة لأخيها محمد ، وناصرها طلحة والزبير لكونهما لم يبايعا عليا طمعا في الخلافة[2].

وقد أجاب المحدثون عن هذه الترهات والأبطيل وقرروا أن طلحة والزبير قد بايعا عليا ورضيا بخلافته ، وأنهما إنما خرجا مع عاشئة إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان والصلح بين المسلمين ، فقد نقل ابن حجر عن المؤرخ الثقة عمر بن شبة ما رواه في كتابه "أخبار البصرة" عن معركة الجمل ، وذكر أنه أخرج من طريق المغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال : "قال الأشتر رأيت طلحة والزبير بايعا عليا طائعين غير مكرهين"[3].

وفند ابن حجر أباطيل المؤرخين الشيعة الذين أرادوا إظهار علي رضي الله عنه في صورة المظلوم الذي اصطدم بفتنة الناقمين عليه : طلحة والزبير وعائشة الطامعين في الخلافة حسب زعمهم ، حيث قال :"إن أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا في الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة"[4] . ويقصد بذلك أنه لم يثبت على وجه صحيح يعتمد عليه ، إذ كل ما ورد في ذلك من الأخبار كان من قبل الشيعة الروافض كأبي مخنف وغيره.

وقد وجه ابن حزم سبب خروج أصحاب الجمل إلى البصرة وبين أن حرب الجمل كانت مكيدة بيتها أعداء الإسلام من أجلاف الأعراب والمنافقين أتباع عبد الله بن سبأ الذين تورطوا في قتل عثمان رضي الله عنه ، فقال :"وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها ، ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة ، ولا جددوا بيعة لغيره...فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ، فصح أنهم نهضوا للبصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما ، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تسابوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم فليتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدافع القوم حتى خالطوا عسكر علي ... وكل طائفة تظن أن الأخرى بدأتها بالقتال واختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه ... فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها"[5].

وقد ساق ابن كثير الحافظ المؤرخ هذا الخبر حيث قال :"واطمأنت النفوس وسكنت ، ورجع كل فريق من الجيشين ...وباتوا بخير ليلة ولم يبيتوا بمثلها للعافية ، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها ، قد أشرفوا على الهلكة ، وجعلوا يتشاورونليلتهم كلها حتى اجتمعوا في السر على إنشاب الحرب"[6].

---

1 - "تاريخ الطبري" : 4/472.
2 - انظر : عمر فروخ ، "تاريخ صدر الإسلام" : 118 . و "علي وبنوه" : 25 ، 26.
3 - انظر "فتح الباري" : 13/55.
4 - المصدر السابق : 13/56.
5 - "الفصل في الملل والأهواء والنحل" : 4/158.
6 - "البداية والنهاية" : 7/240.

فتلك هي تحقيقات المحدثين لهذه الواقعة ، فلا يضر التاريخ الإسلامي بعدها من أقوال المبطلين.

6- تحرير الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما

إن أباطيل الإخباريين والمؤرخين في مسائل الخلاف بين علي ومعاوية كثيرة ومشهورة، حيث ولع الروافض بنسبة لشنائع كثير إلى الصحابة هي من وضع رواة الأخبار من لعن بعضهم بعضا ، وكيد بعضهم لبعض ، وغير ذلك من الفضائح التي ألصقها من لا خلاق لهم من كذبة الإخباريين بالتاريخ النقي لصحابة رسول الله ﷺ .

وفي ذلك يقول الإمام الذهبي رحمه الله :"كما تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة ، وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين ، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب ، وهذا فيما بين أيدينا وبين علمائنا ، فينبغي طيه وإخفاؤه ، بل وإعدامه لتصفو القلوب وتتوفر على حب الصحابة ، والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين على العامة وآحاد العلماء ، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى بشرط أن يستغفر لهم ...

فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم وجهاد محاء ، وعبادة ممحصة ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم ، ولا ندعي فيهم العصمة ، نقطع أن بعضهم أفضل من بعض ، ونقطع بأن أبا بكر وعمر أفضل الأمة ، ثم تتمة العشرة المشهود لهم بالجنة ، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد وأمهات المؤمنين وبنات نبينا r ، وأهل بدر مع كونهم على مراتب ثم الأفضل بعدهم مثل أبي الدرداء وسلمان الفارسي وابن عمر وسائر أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم بنص آية سورة الفتح ، ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالد بن الوليد والعباس وعبد الله بن عمرو وهذه الحلبة ، ثم سائر م نصحب رسول الله r وجاهد معه ، أو حج معه أو سمع منه ، رضي الله عنهم أجمعين وعن جميع صواحب رسول الله r من المهاجرات والمدنيات وأم الفضل وأم هانئ الهاشمية وسائر الصحابيات ، فأما ما تنقله الروافض وأهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ولا كرامة ، فأكثره كذب وافتراء فداب الروافض رواية الأباطيل أورد ما في الصحاح والمسانيد ، ومتى إفاقة من به سكران"[1].

وقد لام الإمام النووي ابن عبد البر حين شحن كتابه في الصحابة بأباطيل الأخبار فيما شجر بينهم من الحروب والفتن[2]التي كان من حضرها منهم مجتهدا مصيبا أو متأولا مخطئا مأجورا ، وقد سلم بعد التهم كافة أهل السنة ، وقرروا بأن الموقف في ذلك هو الكف عما شجر بينهم ، كما أشار إلى ذلك الناظم رحمه الله :

ونسكت عن حرب الصحابة فالذي *** جرى بينهم كان اجتهادا مجردا

1 - انظر"سير أعلام النبلاء" : 10/92 ، 93.
2 -

مواقف المحدثين من الانحرافات الواقعة في التاريخ الإسلامي

1 – فتنة الخوارج الحرورية

وكان أول فتنتهم سنة 36 هـ بعد حرب صفين خرجوا على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه حين قبل التحكيم من أهل الشام ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، ونزلوا بحروراء فسموا بالحرورية وأمرا عليهم شبث بن ربيعي ثم عبد الله بن وهب الراسبي ، ثم تفرقوا بعد ذلك فرقا أهمها ست فرق وهم : الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والإباضية والثعالبة[1].

قال الشهرستاني : ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ويكفرون اصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا"[2].

وقد كان أغلبهم من جفاة الأعراب الذين لم تكن لهم سابقة من هجرة أو جهاد أو بلاء في الإسلام ، وأجمع أئمة الحديث وأهل السنة على ضلالهم وأنهم المارقة الذين ذكرهم النبي ﷺ في الحديث حين جاءه ذو الخويصرة التميمي وهو يقسم غنيمة بين الصحابة فقال له : اعدل يا رسول الله ، فهم عمر أن يضرب عنقه ، فقال رسول اللهﷺ :

"دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر في رضافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شئ ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى يديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فترة من الناس :"قال أبو سعيد راوي الحديث ـ وهو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ـ "فأشهد أني سمعت هذا من رسول اللهﷺ ، واشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذي نعت رسول اللهﷺ ، وللحديث طرق متعددة ، ساقها الإمام أحمد وابن كثير وغيرهما"[3] .

وقد اتفق أعلام المؤرخين وأئمة الحديث على ان قوام حركتهم مروق وخروج عن السنة والجماعة وتمزيق لوحدة المسلمين ، وغاية ما كان من أمرهم أنهم شغلوا المسلمين مدة من الزمن عن أمر الجهاد في سبيل الله وأضعفوا شوكة المجاهدين في بعض الثغور.

قال ابن كثير :"وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ... وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج أنهم المذكورون في قوله تعالى :"قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"[4] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء في القوال والأفعال ، اجتمع رايهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ، ويبعثوا إلى إخوانهم واضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها ... وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من لحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة"[5].

1 - انظر : عبد القاهر الجرجاني ، "الفرق بين الفرق" : 54 ، 55.
2 - "الملل والنحل" : 1/ 156 ، 157.
3 - انظر "مسند الإمام أحمد" : 3/ 32 وما بعدها ؛ "البداية والنهاية" : 7/ 289 – 306.
4 - الكهف : 99.
5 - "البداية والنهاية" : 7/ 285 ، 286.

وقد ذكر ثقات المؤرخين أنهم عاثوا في الأرض فسادا ، فاستباحوا المنازل وقتلوا النساء والأطفال ، فمن ذلك أنهم لقبوا عبد الله بن خباب بن الأرث ومعه امرأته ، فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فأثنى عليهم ، فذبحوه وقتلوا امرأته ، وكانت حبلى فبقروا بطنها وهو من سادات أبناء الصحابة[1] . وكل ذلك لجهلهم وغلوهم في أمور ما أنزل الله بها من سلطان .

قال ابن حزم :"كانوا أعرابا قرؤوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ثم أعماهم الشيطان وأضلهم الله على علم فحلوا بيعة مثل علي وأعرضوا عن مثل سعيد بن زيد وابن عمر وغيرهم ممن أنفق قبل الفتح وقاتل وأعرضوا عن سائر الصحابة فلم يبايعوا أحدا منهم ، وبايعوا لشبث بن ربعي مؤذن سجاح أيام ادعت النبوة بعد موت النبيﷺ ، حتى تداركه الله عز وجل ففر عنهم وتبين له ضلالتهم ، فلم يقع اختيارهم إلا على عبد الله بن وهب الراسبي أعرابي بوال على عقبيه لا سابقة ولا صحبة ولا فقه ، ولم يشهد الله له بخير قط ، فمن أضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان إحدى يمينه ذو خويصرة الذي بلغ ضعف عقله وقلة دينه إلى تجويره رسول اللهﷺ في حكمه"[2].

وقد كان منهم عدو الله بن ملجم الذي قتل الإمام علي كرم الله وجهه ، قال عنه الذهبي :"وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة ، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار ونجوز أن الله يتجاوز عنه ..وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير وقاتل طلحة وقاتل سعيد بن جبير وقاتل عمار وقاتل خارجة وقاتل الحسين فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله"[3].

والعجب ممن يزعم اليوم أن الخوارج كانوا حركة إصلاح ينشدون العدل والحرية وأنهم وقفوا في وجه طغاة بني أمية تأييدا ونصرة للبسطاء المستضعفين[4]. في حين أنهم لم يقدموا لتاريخ الأمة وحضارتها إلا الفتنة وإشغال المسلمين بحروب كانوا في غنى عنها ، لم تزدهم إلا وهنا وضعفا في فترة كانوا فيها أحوج إلى الوحدة وقوة الشكيمة ، لنشر الإسلام والدفع بحركة الجهاد والفتوح الإسلامية إلى الأمام.

8 -مقتل الحسين رضي الله عنه :

وكان ذلك في إمارة يزيد بن معاوية عام 61 هـ بموقعة كربلاء من طرف عبيد الله بن زياد واليه على العراق ، فباءا بإثمه وإثم من كان معه من آل بيت رسول اللهﷺ . وقد كان قتله من أبشع الجرائم التي ارتكبها يزيد بن معاوية مهما تأول له المؤرخون في ذلك.

قال ابن تيمية :"وكان قتله رضي الله عنه من المصائب العظيمة ، فإن قتل الحسين وقتل عثمان من قبله كان من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة وقتلتهما من شرار الخلق عند الله"[5].

والذي عليه علماء السنة وأئمة الحديث أنه قتل مطلوما إلى عفو الله ورحمته ، ,ان قتلته عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وعبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية ومن ناصرهم على قتله ظالمون معتدون لا عذر لهم عند الله في قتله.مهما تأولوا من خروجه وشقه عصا الطاعة لأنه نازلهم على الصلح ، وطلب منهم أمورا ثلاثة : إما أن يخلوا سبيله يرجع إلى الحجاز ، أو يذهب هو وعمر بن سعد حتى يضع يده في يد يزيد ، أو يخرج إلى ثغر من ثغور

1 - انظر "طبقات ابن سعد" : 3/ 32 ؛ "تاريخ الطبري" : 5/ 2 ؛ "تاريخ الإسلام" : 3/ 588.
2 - "الفصل في الملل والأهواء والنحل" : 4/ 156 ، 157.
3 - "تاريخ الإسلام" : 3/ 654.
4 - انظر : حسين مروة ، "النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية" : 1/ 512.
5 - "الفتاوى" : 3/ 411.

المسلمين بمن معه لقتال الترك ، فأبي عليه عدو الله شمر بن ذي الجوشن إلا النزول عند حكم عبيد الله بن زياد ، فقاتلهم حتى قتل"[1].

قال ابن كثير :"وقد تأول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها ، وليخلع من بايعه الناس واجتمعوا عليه ، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك والتحذير منه والتوعد ، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاثة ...بل أكثر الأئمة قديما وحديثا كارة لما وقع من قتله وقتل أصحابه سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله"[2].

وقد انضاف إلى هذه الشرذمة المتأولين في قتل الحسين الراضين به المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون فيما نقل عنه ، وقد حمله انحرافه عن آل البيت أن يدعي أن الحسين قتل بشرع جده[3]. أي أن قتله كان طاعة وتقربا لله من طرف يزيد بن معاوية الذي حكم فيه نص رسول اللهﷺ في قتل الخارج عن الجماعة ، وكأنه بذلك يبرر سيئات بني أمية.

وقد ذمه بعض أئمة الجرح والتعديل لأجل ذلك ، قال ابن حجر :وقد كان شيخنا الحافظ أبو الحسين بن أبي بكر يبالغ في الغض منه ، فلما سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنه بلغه أنه ذكر الحسين بن علي رضي الله عنهما في تاريخه فقال : قتل بسيف جده ، ولما نطق شيخنا بهذه اللفظة أردفها بلعن ابن خلدون وسبه"[4].

وكان الذي حمله على ذلك بغضه لآل البيت حتى إنه يثبت نسب العبيدين الزنادقة إليهم[5] ، لكي تلتصق سيئاتهم وجرائمهم التي اقترفوها بمصر والقيروان بتاريخ آل البيت كما سنرى فيما بعد.

9 -وقعة الحرة سنة 63 هـ :

وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد وخرجوا عليه ، لما عرفوا عنه من الانهماك في شرب الخمر وإتيان المنكرات ، فأرسل إليهم جيشا كثيفا بقيادة مسلم بن عقبة وأمره إن لم يطيعوا أن يدخل المدينة بالسيف ويبيحها ثلاثة أيام[6].

و كان ذلك من أفظع الجرائم التي ارتكبها يزيد في عهد بني أمية ، حيث استبيحت فيها أعراض المسلمين وحرماتهم ، كثر فيها السلب والنهب ، وقتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم. وقد عدها أعلام المؤرخين وأئمة الحديث من سيئات يزيد بن معاوية ، ومظاهر طغيانه وتجبره الذي خرج به إلى الفسق واستحقاق لعنة الله وغضبه.

قال ابن كثير:"ثم أباح مسلم بن عقبة ـ الذي يقول فيه السلف : مسرف بن عقبة قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله ـ المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد لا جزاه الله خيرا ، وقتل خلقا من أشرافها وقرائها ، وانتهبت أموال كثيرة منها ، ووقع شر عظيم وفساد عريض"[7].

ونقل السيوطي عن الحسن البصري أنه ذكرها مرة فقال :" والله ما كاد ينجو منهم أحد ، قتل فيها خلق من

1 - راجع "البداية والنهاية" : 8/ 175 ؛ "تاريخ الخلفاء" : 327.
2 - "البداية والنهاية" : 8/ 202.
3 - قال ابن حجر :"لم توجد هذه اللفظة في التاريخ الموجود الآن ، وكان ذكرها في النسخة التي رجع عنها (انظر "رفع الإصر عن قضاة مصر" : 2/ 347)
4 - المصدر السابق : نفس الصفحة.
5 - انظر "تاريخ ابن خلدون" : 4/ 64.
6 - انظر "تاريخ الطبري" : 5/ 482 ، 495 ؛ "الكامل في التاريخ" : 4/ 111 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 3/ 322.
7 - "البداية والنهاية" : 8/ 220.

الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم ، ونهبت المدينة ، وافتض فيها ألف عذراء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قال ﷺ: "من اخاف أهل المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[1].

11 - مواقف العلماء من يزيد بن معاوية

إن هذه الجرائم العظيمة التي وقعت في إمارة يزيد بن معاوية حملت أئمة الجرح والتعديل على الكلام والطعن في دينه وعدالته، مع ما اشتهر به من شرب الخمر وترك الصلاة أحيانا وإتيان المنكرات وقد غالى فيه بعض الناس فعدوه كافرا زنديقا كما ذكر ابن تيمية [2].

والذي أجمع عليه أئمة الحديث وعلماء السنة أنه كان فاسقا جبارا عنيدا ، استحق لعنة الله وغضبه بقتله الحسين بن علي ، واستباحته مدينة رسول الله ﷺ . قال الذهبي :"فلما جرت هذه الكائنة اشتد بغض الناس ليزيد ، مع فعله بالحسين وآله ومع قلة دينه ... فما أمهله الله ، وهلك بعد نيف وسبعين يوما"[3].

وقال الحافظ ابن كثير :"وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشا في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام ، وهذا خطأ كبير فاحش ، مع ما انضم إليه ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيد الله بن زياد ، وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية مالا يحد ولا يوصف ، مما لا يعلمه إلا الله عز وجل وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده ، وحال بينه وبين ما يشتهيه ، فقصمه الله قاصم الجبابرة ، وأخذه أخذ عزيز مقتدر .وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد .[4].

وذكر حديث الإمام أحمد عن السائب بن خلاد أن رسول اللهﷺ قال :" من اخاف أهل المدينة أخافه اللهـ ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا" ثم قال :"وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد بن معاوية ، وهو رواية عن أحمد بن حنبل واختاره الخلال وابو بكر بن عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي وأبو الحسين ، وانتصر لذلك ابن الجوزي في مصنف مفرد وجوز لعنته ، ومنع ذلك آخرون وصنفوا فيه لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى لعن أبيه أو أحد من الصحابة"[5].

وقد روى شيخ الإسلام ابن تيمية عن صالح بن أحمد بن حنبل أنه قال :"قلت لأبي : إن قوما يقولن إنهم يحبون يزيد ، قال : يا بني وهل يحب يزيدا أحدا يؤمن بالله واليوم الآخر ... وروي عنه قيل له : أتكتب الحديث عن يزيد بن معاوية ؟ فقال : لا ولا كرامة ، أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل"[6].

وقد نص الإمام الذهبي على ان خروج الناس عليه كان بسبب ما فعله من المنكرات واقترفه من الجرائم والظلم والعدوان ، فأنكر المسلمون ذلك وغضبوا لله ، ولا سيما والعهد قريب من زمن الوحي والرسالة وصحابة رسول الله ﷺ وكبار التابعين ما يزالون على قيد الحياة ، فقال :"وكان ناصبيا فظا غليظا جلفا يتناول المسكر ويفعل المنكر ، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين ، واختتمها بواقعة الحرة ، فمقته الناس ولم يبارك في عمره ، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين ، كأهل المدينة قاموا للهـ ، وكمرداس بن أدية الحنظلي ، ونافع بن الأزرق وطوق بن معلى

1 - "تاريخ الخلفاء" : 330 ، 331 ؛ والحديث أخرجه أحمد : 4/ 55 ؛ وابن حبان في صحيحه : رقم 1039.
2 - انظر "الفتاوى" : 3/ 409.
3 - "سير أعلام النبلاء" : 3/ 325.
4 - "البداية والنهاية" : 8/ 222.
5 - المصدر السابق : 8/ 223.
6 - "الفتاوى" : 3/ 412.

السدوسي ، وابن الزبير بمكة"[1].

وهذا دليل على أن قرون الخير في المجتمع الإسلامي كانت آهلة بأهل الغيرة والصلاح من العلماء والمجاهدين القائمين لله الشهداء بالقسط ، يقومون من اعوج أو انحرف عن شرع الله من القائمين على أمر الأمة :ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض [2].

قال الذهبي :"ولم يمهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلعوه...ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه ، وله نظراء من خلفاء الدولتين وكذلك من ملوك النواحي ، بل فيهم من هو شر منه ، وإنما عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبيﷺ بتسع وأربعين سنة والعهد قريب والصحابة موجودون كابن عمر الذي كان أولى بالأمر منه ومن أبيه وجده"[3].

12 - فتنة المختار بن أبي عبيد الثقفي ت 67 هـ :

بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، سخط كثير من المسلمين على بني أمية وغضبوا لأجل ذلك ، وندم شيعة الكوفة على خذلانهم ابن بنت رسول اللهﷺ ، وصاروا يترقبون فرصة للأخذ بثأره ، ومن عادة أهل الأهواء ، وأصحاب الطموحات والأطماع السياسية أن يستغلوا هذه المواقف ، ويتذرعوا بها للوصول إلى أغراضهم الخبيثة ، فكان ممن قام في هذا الشأن المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذي أظهر التشيع وادعى النبوة واستحوذ بمكره على أهل الكوفة وتبعه خلق منهم سموا بالمختارية[4].

والمختار هذا هو ابن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ، أسلم أبوه في حياة النبيﷺ ولم يره فلهذا لم يذكره أكثر المؤرخين في الصحابة ، وإنما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة[5] ، وكان له من الولد صفية بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، والمختار هذا كذاب بني ثقيف ، وقد كان أولا ناصبيا يبغض عليا في هوى آل مروان ، فلما قتل مسلم بن عقيل ابن عم الحسين رضي الله عنه ، قال المختار :أما والله لأنصرنه ، فسجنه عبيد الله بن زياد ، ثم تشفع له عبد الله بن عمر زوج أخته عند يزيد بن معاوية فأطلقه وسيره إلى الحجاز ، فلحق بعبد الله بن الزبير وقاتل معه ، ثم تركه ورحل إلى العراق ، فكان يظهر الولاء لابن الزبير في العلانية ، ويمدح محمد بن الحنفية سرا ويدعو له ، ولم يزل كذلك حتى استحوذ على أهل الكوفة بإظهار التشيع والنقمة على قتلة الحسين والعزم على الأخذ بثأره ، فدانت له الكوفة وطرد عامل ابن الزبير عليها ، ثم شرع في تتبع قتلة الحسين من بني أمية فقتل خلقا منهم ، وظفر برؤوس أكابرهم ، كعمر بن سعد أمير الجيش الذي قتل الحسين ، وشمر بن ذي الجوشن ، وعبيد الله بن زياد ، وحسين بن نمير وغيرهم ، على يد قائده إبراهيم بن الأشتر النخعي[6].

فلما دانت له العراق وطابت نفسه بالملك ادعى النبوة وأخرج للناس أسجاعا زعم أنها تنزل عليها من السماء ، وعمل لهم كرسيا يزعم أنه من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأنه بمثابة تابوت بني إسرائيل ، فكان يحمله في الحروب ويقول لأصحابه : قاتلوا ولكم الظفر والنصر وهذا الكرسي محله فيكم كتابوت بني إسرائيل فيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم[7] .

فلما اطلع محمد بن الحنفية على دجَله ودعوته الباطلة تبرأ منه ، وسير إليه عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا في

1 - "سير أعلام النبلاء" : 4/ 38.
2 - البقرة : 249.
3 - "سير أعلام النبلاء" : 4/ 36.
4 - انظر "الملل والنحل" : 1/ 197.
5 - انظر الجزء : 5/ 122.
6 - انظر "تاريخ الطبري" : 6/ 38 ؛ "البداية والنهاية" : 8/ 292 ، 293 ؛ "تاريخ الإسلام" : 2/ 377.
7 - راجع "الملل والنحل" : 1/ 199 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 2/ 541.

جيش كثيف فقتله واجتز رأسه وأباد دولته[1].

وقد كشف المحدثون النقاد عن دعوته الباطلة وأنه لم يكن صادقا فيما قام به من الثأر للحسين وتتبع قتلته ، وإنما اتخذ ذلك ستارا لبث دعوته الخبيثة ، فانتقم الله منه بعد أن انتقم به من قتلة الحسن رضي الله عنه ، قال الحافظ ابن كثير :" وهذا المقام فيه للشيعة غرام وأي غرام ، إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله ، ولا شك أن قتل قتلته كان متحتما ، والمبادرة إليه كان مغنما ولكنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافرا ، وقد قال رسول اللهﷺ :"إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" ، وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون :"وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون" وقال الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها * ولا ظالم إلا سيبلى بظالم"[2] .**

وقد أهلكه الله على يد مصعب بن الزبير :"ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن وكذلك سائر الدول ، وفرح المسلمون بزوالها ، ذلك أن الرجل لم يكن في نفسه صادقا بل كان كاذبا يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل"[3].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن رسول اللهﷺ قال :"إن في ثقيف كذابا ومبيرا"[4] قال ابن كثير :"وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة واسر إلى أخصائه أنه يوحى إليه ...وقد كان وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال ويستر بالحرير ، ويحمل على البغال ، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن ، ولا شك أنه كان ضالا مضلا اراح الله المسلمين منه ، بعدما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين كما قال تعالى :" وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون""[5].

فحركته في غايتها مروق وضلال لم تكن لوجه الله ، وإنما لحاجة في نفسه خبيثة ، أراد بها تضليل المسلمين ، ومد سلطانه في شرق البلاد وتكثير سواد الناس من حوله ، فعاقبه الله بسوء قصده ، وكشف مكره للمسلمين ، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وقد عده المحدثون من خبثاء الأمة وأئمة الضلال فلا يسمى إلا الكذاب قال الذهبي :"لا ينبغي أن يروى عنه شئ لأنه ضال مضل ، كان يزعم أن جبريل ينزل عليه ، وهو شر من الحجاج أو مثله"[6] .

13 - فتنة مروان بن الحكم وعهده إلى ابنه عبد الملك 64 هـ :

جرى كثير من المؤرخين قديما وحديثا على اعتبار مروان بن الحكم خليفة من خلفاء المسلمين ، وتصحيح بيعته وعهده لابنه عبد الملك بن مروان ، واعتبار عبد الله بن الزبير خارجا شاقا لعصا الطاعة مفرقا لجماعة المسلمين ، وأن إمارته كانت خروجا وفتنة[7].

وقد حقق المحدثون هذه المسألة ، وكشفوا عن أباطيل المؤرخين فيها ، وأظهروا الرأي الصواب . فما سمي "بخلافة مروان بن الحكم" كان انحرافا في تاريخ المسلمين تناقله المؤرخون على أنه حقيقة مسلمة مجمع عليها ، في حين أن الأمر على غير ذلك.

فقد ذكر الحافظ ابن كثير ، أنه بعد موت يزيد بن معاوية سنة 64 هـ اضطرب امر بني أمية وكان عبد الله بن

---

1 - انظر "البداية والنهاية" : 8/ 290.
2 - المصدر السابق : 8/ 274.
3 - المصدر السابق : 8/ 291.
4 - أخرجه مسلم في فضائل الصحابة عن أسماء بنت أبي بكر ، برقم : 2545 ، وأحمد والترمذي.
5 - "البداية والنهاية" : 8/ 292.
6 - "ميزان الاعتدال" : 4/ 80.
7 - انظر "الأخبار الطوال" : 309 ؛ ابن الطقطقي ، "الفخري في الآداب السلطانية" : 123 ؛ ابن العبري ، "تاريخ مختصر الدول" : 112.

الزبير عائذا بالبيت ، فبايعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، أما مصر والشام فبايع الناس فيها لمعاوية بن يزيد بعهد من أبيه ، ولم يجمع الناس على إمارته ، كما أن مدته لم تطل وقد عزم على ان يبايع لابن الزبير ، فلما توفي رحمه الله دانت الشام ومصر لعبد الله بن الزبير، ولم يثبت أنه دعا لنفسه أو تسمى بالخلافة قبل ذلك ، بل الذي عليه الأئمة المحققون أنه امتنع من بيعة يزيد بن معاوية وعاذ ببيت الله الحرام لما خاف على نفسه وكان يسعه في ذلك ما وسع الحسين بن علي ، إلى أن يبايعه الناس بالخلافة[1].

فقام مروان بن الحكم الذي يسميه المؤرخون خليفة بالاستيلاء على الشام ومصر بعد موقعة مرج راهط التي استباح فيها دماء المسلمين ، وقتل فيها خلقا من الصحابة والتابعين منهم الضحاك بن قيس الفهري قائد جيش دمشق الذين بايعوا عبد الله بن الزبير وغيره ، وذلك بعد أن وادعهم على الصلح ثم غدر بهم ، وكان ذلك من مكائد عبيد الله بن زياد صاحب الجرائم السوداء في تاريخ المسلمين وهو الذي حسن لمروان بن الحكم أن يدعو الناس إلى نفسه مع حصن بن نمير ، وخذل الناس عن ابن الزبير[2].

واستمر مروان بن الحكم على الشام ومصر زهاء سنة ثم عهد إلى ابنه عبد الملك الذي بويع في حياة أبيه ثم جددت له البيعة بعد موته وملك دمشق والشام.

ومروان بن الحكم هذا لا يعد خليفة عند أئمة الحديث وأعلام المحققين وقد أدرك النبيﷺ ، ولم يحفظ عنه ولا رآه وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين ، وكانت له موبقات ولم تكن له استقامة بعد النبيﷺ ، فهو من شاكلة بسر بن أرطأة[3] قال ابن كثير :"ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان لأنه زور على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك الوفد ، ولما كان متوليا على المدينة لمعاوية كان يسب عليا كل جمعة على المنبر"[4].

وقال الذهبي :"روى عن بسرة وعن عثمان ، وله أعمال موبقة نسأل الله السلامة ، رمى طلحة بسهم وفعل وفعل"[5] إضافة إلى اعتدائه على المسلمين مع عبيد الله بن زياد أمير السوء وغدره بهم بمرج راهط كما سبقت الإشارة لأنهم رفضوا خلع ابن الزبير والإذعان له بالبيعة.

ولذلك عده أئمة الجرح والتعديل خارجا باغيا على عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين لذلك الوقت ، ولم يصححوا خلافته ولا خلافة ابنه عبد الملك بن مروان أيام عبد الله بن الزبير .

قال أبو محمد بن حزم :"وأما قول من قال إن عقد الإمامة لا يصح إلا بعقد أهل حضرة الإمام وأهل الموضع الذي فيه قرار الأئمة ، فإن أهل الشام كانوا قد ادعوا لأنفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان وابنه عبد الملك ، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وهو قول فاسد لا حجة لأهله"[6].

وحين تعرض الذهبي للكلام عنه لم يذكره على أنه خليفة وإنما قال :"استولى مروان على الشام ومصر تسعة أشهر ومات خنقا" ولم يذكر أنه كان خليفة المسلمين آنذاك[7].

قال الحافظ السيوطي :"والأصح ما قاله الذهبي أن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين ، بل هو باغ خارج على

1 - انظر "تاريخ الإسلام" : 3/ 170 ؛ "البداية والنهاية": 8/ 105 ، 106 ، 242 ؛ "تاريخ الخلفاء": 336.
2 - راجع "البداية والنهاية" : 8/ 246 ، 247.
3 - انظر ترجمته في "طبقات ابن سعد" : 5/ 35 ؛ "تاريخ الإسلام" : 3/ 70 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 3/ 476.
4 - "البداية والنهاية" : 8/ 262 ؛ وانظر "تاريخ الإسلام" : 3/ 71 ، 72.
5 - "ميزان الاعتدال" : 4/ 89.
6 - "الفصل في الملل والنحل" : 4/ 168.
7 - "سير أعلام النبلاء" : 3/ 478 ؛ "العبر في خبر من غبر" : 1/ 71 ؛ "تاريخ الإسلام" : 3/ 171.

ابن الزبير ، ولا عهده إلى ابنه بصحيح... أما ابن الزبير فإنه استمر بمكة خليفة إلى أن تغلب عبد الملك فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفا ، فحصره بمكة أشهرا ورمى عليه بالمنجنيق ، وخذل ابن الزبير أصحابه وتسللوا إلى الحجاج ، فظفر به وقتله"[1].

وإنما راج على المؤرخين الأوائل هذا الباطل فاعتبروا مروان بن الحكم خليفة للمسلمين بعد معاوية بن يزيد ، لأنهم درجوا على نقل الروايات والاكتفاء بسرد أخبار من تسمى بالخلافة من الأمويين دون أن يتكلفوا عناء تمحيص هذه الأخبار وإمعان النظر في تقويم حوادث التاريخ الإسلامي وتفسيرها تفسيرا صحيحا.

وكذلك ابنه عبد الملك بن مروان ، فإنه نزا بالسيف وتسلط على رقاب المسلمين بمساعدة سفاح بني أمية الحجاج بن يوسف الثقفي ، واستغل الفرحة فوثب على خليفة المسلمين عبد الله بن الزبير وقتله في حرم الله ورمى الكعبة بالمنجنيق ، وقتل مصعب بن الزبير بالعراق ، ووطد ملكه بالسيف وإذلال رقاب المسلمين ، فعده أئمة الجرح والتعديل خارجا باغيا كأبيه ، ولم يصححوا خلافته قبل مقتل عبد الله بن الزبير لأن بيعته لم تكن شرعية ويعتبر مارقا خارجا عن جماعة المسلمين من سنة 65 هـ إلى سنة 73 هـ وهي السنة التي وثب فيها على عبد الله الزبير وقتله[2] فدانت له البلاد منذ ذلك الحين ، ومع ذلك لم يسلم بخلافته طائفة من المحققين بعد هذه السنة وعدوها ملكا دنيويا لا علاقة له بالشرع والدين ولم يسموه خليفة ومنهم حجة المؤرخين والمحققين الحافظ الذهبي حيث قال عنه :" تملك بعد أبيه بمصر والشام ، ثم حارب ابن الزبير الخليفة وقتل أخاه مصعبا في وقعة مسكين واستولى على العراق ، وحهز الحجاج لحرب ابن الزبير سنة اثنتين وسبعين ، واستوثقت الممالك لعبد الملك"[3].

ومن سلم بخلافته بعد سنة 73 هـ مقر بأنها كانت انحرافا وخروجا في تاريخ الأمة ، وإن وصوله إلى الخلافة غير شرعي ، لأنه ارتكب في سبيل ذلك من الموبقات مالا يعد ولا يحصى. قال السيوطي : "بويع بعهد أبيه في خلافة ابن الزبير ، فلم تصح خلافته ، وبقي متغلبا على مصر والشام ، ثم غلب على العراق وما والاها ، إلى أن قتل الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحت خلافته من يومئذ واتوثق له الأمر"[4].

وفي عهده سفكت دماء المسلمين وأهين علماء الصحابة والتابعين ، وقد بين أئمة الجرح والتعديل ذلك ، وحددوا موقفهم من سيرته وأفعاله وذكروه بكل سوء وشر ، ولم يبرروا سيئاته كما فعل ذلك بعض المؤرخين المتأخرين والمعاصرين[5]. قال الذهبي :"أنى له العدالة وقد سفك الدماء ، وفعل الأفاعيل"[6] .

وقال السيوطي :"لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم يهينهم ويذلهم قتلا وضربا وشتما وحبسا ، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى فضلا عن غيرهم ، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختما يريد بذلك ذلهم ، فلا رحمه الله ولا عفا عنه"[7].

وعلى ذلك فلا يصح ما يتناقله كثير من المؤرخين م نأن خلافة عبد الله بن الزبير كان تمروقا وفتنة وإلحادا في حرم الله ، ويعززون اقوالهم بما يرويه جهلة الشيعة على لسان ابن عفان من طريق يعقوب القمي الشيعي عالم أهل قم ت 174 هـ خرج له البخاري تعليقا ، وقال الدارقطني : ليس بالقوي[8]. عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبزى

1 - "تاريخ الخلفاء" : 336.
2 - انظر "دول الإسلام" : 1/ 33 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 4/ 247 ؛ "تاريخ الخلفاء" : 336 .
3 - "سير أعلام النبلاء" : 4/ 247.
4 - "تاريخ الخلفاء" : 341.
5 - أمثال ابن العبري ت 685 هـ في "تاريخ مختصر الدول" وعمر فروخ في "تاريخ صدر الإسلام" ، وعلي شعوط في كتاب "الأباطيل".
6 - "ميزان الاعتدال" : 4/ 664.
7 - "تاريخ الخلفاء" : 350 ، 351.
8 - "ميزان الاعتدال" : 4/ 452.

عن عثمان بن عفان قال : قال له عبد الله بن الزبير حين حصر : إن عندي نجائب قد أعددتها لك ، فهل لك أن تتحول إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك ، قال : لا إني سمعت رسول اللهﷺ يقول : "يلحد كبش من قريش اسمه عبد الله عليه أوزار الناس" ، والحديث منكر تفرد بروايته القمي[1].

وقد ساق المؤرخ الناقد ابن كثير هذا الحديث في ترجمة عبد الله بن الزبير ثم بين موقف أئمة الحديث وعلماء السنة من خلافة ابن الزبير التي سماها بعض المؤرخين فتنة وإلحادا في بيت اللهـ الحرام ، فقال :طوهذا الحديث منكر جدا وفي إسناده ضعف ، ويعقوب هذا هو القمي وفيه تشيع ، ومثل هذا لا يقبل تفرده به وبتقدير صحته فليس هو بعبد الله بن الزبير ، فإنه كان على صفات حميدة وقيامه في الإمارة إنما كلن لله عز وجل ، ثم هو كان الإمام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة ، وهو أرشد من مروان بن الحكم ، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمة فيه ، وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر"[2].

وعبد الله بن الزبير صحابي جليل ابن صحابي من أفاضل الرجال علما وعملا وشجاعة ، أقام الخلافة على هدي النبوة ، وسار في الناس سيرة الخلفاء الراشدين ، ولم يدانيه أجلاف بني أمية الذين بغوا عليه وقاتلوه في شئ[3] ، فلستُ أدري أي فضل أو سابقة في الإسلام كانت للحجاج وعبد الملك بن مروان أو مشروعية في التسلط على رقاب المسلمين دعت بعض المعاصرين ممن تصدوا للكتابة في نقد أباطيل التاريخ الإسلامي إلى الدفاع عنهما وتسويغ جرائمهما في حق خليفة المسلمين عبد الله بن الزبير بمحض العاطفة والظن والتخرص ، اللهم إلا الهوى ومخالفة إجماع أعلام النقاد من علماء الجرح والتعديل ، وقد كنا نحسب أن النزعات والميول الأموية والعباسية وغيرها قد ماتت مع المؤرخين السابقين ، ولم يعد لها اثر بين من يتصدون للكتابة في التاريخ الإسلامي من المنتسبين إلى علوم الشريعة ، فخاب ذلك الظن والحسبان وأصبحت بعض المؤلفات في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بحاجة إلى إعادة نظر وتقويم.

14 -إمارة الحجاج بن يوسف مبير ثقيف

وهو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، أمير السوء ، ومبير ثقيف ولد سنة 39 هـ وقيل 40 هـ ، وتولى إمارة الحجاز سنة 74 هـ ثم استمر أميرا على العراق إلى أن مات سنة 95 هـ [4] .

كانت إمارته طيلة عشرين سنة نقمة وبلاء على المسلمين وسيءة وانحرافا عظيما في تاريخ الأمويين ، وقد أجمع علماء الملة على فسقه وضلاله وأنه مبير ثقيف الذي ذكر النبيﷺ في الحديث ، وعدوه خبيثا من خبثاء الأمة الذين ظهروا في تاريخ المسلمين.

وذلك لما ارتكبه من الجرائم والموبقات في حق المسلمين في تلك المرحلة ، من إهانة الصحابة وإذلالهم وقتل طائفة منهم وسفك دماء طائفة من العلماء والقراء وفضلاء المسلمين ، وغير ذلك من العظائم التي تواتر بها النقل عند المؤرخين وأئمة الجرح والتعديل وقد ساق أئمة الحديث من المؤرخين ما تواتر واشتهر من جرائمه التي عم بها البلاء وعظُم ، وحددوا موقفهم منه ومن أعماله بوضوح.

فمن أقبح عظائمه استخفافه ببقية أصحاب رسول اللهﷺ ، وختمه في أعناقهم وأيديهم يذلهم بذلك ومنهم أنس بن

1 - الحديث أخرجه أحمد في مسنده : 1/ 64 ؛ وابن عساكر ، "تهذيب تاريخ دمشق" : 7/ 414.
2 - "البداية والنهاية" : 8/ 345.
3 - انظر ترجمته في "الإصابة" : 2/ 309 ؛ "تهذيب التهذيب" : 5/ 213 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 3/ 363.
4 - انظر ترجمته في "وفيات الأعيان" : 1/ 123 ؛ "تهذيب تاريخ دمشق" : 4/ 48 ؛ "البداية والنهاية" : 9/ 132.

مالك وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي[1].

ونيله من حرمة عبد الله بن مسعود كما ساق ذلك المؤرخ ابن كثير وغيره من طرق مختلفة منها ما رواه أبو بكر بن أبي خيثمة بسنده عن عاصم بن أبي النجود والأعمش" أنهما سمعا الحجاج قبحه الله يقول :...والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لي دماؤكم ، ولا أجد أحدا يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولأحنكنها من المصحف ولو بضلع خنزير... وفي بعض الروايات والله لو أدركت عبد هذيل لأضربن عنقه ، وفي رواية الصلت بن دينار : سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه"[2]. قال ابن كثير :"وهذه جرأة عظيمة تفضي به إلى الكفر قبحه الله وأخزاه وأبعده وأقصاه"[3].

ومنها كذلك حصاره لخليفة المسلمين عبد الله بن الزبير سنة 72 هـ ورميه الكعبة بالمنجنيق وتأوله عليه بأنه ألحد في حرم الله ، وتسلطه على رقاب خيار الأمة من العلماء والقراء من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث حيث صار يتتبعهم بعد موقعة دير الجماجم عام 83 هـ ويقتلهم واحدا بعد واحد وفيهم من لا يصلح الحجاج أن يكون شمسا لنعله ، قال ابن كثير :"ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم مثنى وفرادى ، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبرا مائة ألف وثلاثين ألفا ... منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص وجماعات من السادات الأخيار والعلماء الأبرار حنى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمهم الله ورضي عنهم"[4].

وبالجملة فقد كان طاغية جبارا عنيدا ، استحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فلا يذكره أحد م نأعلام المؤرخين وأئمة الجرح والتعديل بخير ، وما حصل من أعمال الجهاد والفتوح الإسلامية ونشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر في عهده إنم اقام على أكتاف أعلام المجاهدين من أبطال الإسلام الذين أخلصوا دينهم لله ، كعبد الرحمن بن الأشعث ت 84 هـ ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ت 82 هـ ، وموسى بن نصير اللخمي ت 97 هـ ، والمهلب بن أبي صفرة ت 82 هـ ، وغيرهم فهم الذين كتب الله لهم أجر الجهاد ، ورزقهم سعادة الفتح ونشر كلمة الله في ربوع الأرض ، أما الحجاج فكان سيفه يقطر بدماء المسلمين ، وإنما يرزق الناس حسب نياتهم.

قال الذهبي في حقه :"أهلكه الله في رمضان سنة خمسة وتسعين كهلا ....من أوثق عرى الإيمان"[5].

ولا يلقب عند أئمة الإسلام إلا ب "السفاح المبير" قال الحافظ ابن كثير بعدما ساق حديث أسماء بنت أبي بكر أن رسول اللهﷺ قال :"إن في ثقيف كذابا ومبيرا"[6] : " وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف هذا وقد كان ناصبيا يبغض عليا وشيعته في هوى آل مروان بني أمية ، وكان جبارا عنيدا مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة"[7].

ثم ساق اقوال علماء السلف فيه ، ومنها ما رواه إبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا ثنا سليمان بن أبي سنح ثنا صالح بن سليمان قال : قال عمر بن عبد العزيز :"لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا آخرة"[8] .

1 - انظر "البداية والنهاية" : 9/ 3 ؛ "تاريخ الخلفاء" : 341 ؛ "تاريخ الإسلام" : 3/ 116.
2 - انظر "البداية والنهاية" : 9/ 129 ؛ "تاريخ الإسلام" : 3/ 351.
3 - "البداية والنهاية" : نفس الصفحة.
4 - المصدر السابق : 9/ 54.
5 - "سير أعلام النبلاء" : 4/ 343.
6 - الحديث أخرجه مسلم من حديث اسماء برقم : 4545.
7 - "البداية والنهاية" : 9/ 133.
8 - المصدر السابق : 9/ 136.

ولم يرو عنه أئمة الحديث حرفا من العلم مع أنه كان من الأوعية الرؤوس ، قال عنه الحافظ الذهبي :"أهل ألا يروى عنه وقال النسائي ، ليس بثقة ولا مأمون ، قلت : يحكي عن هثابت وحميد وغيرهما ، فلولا ما ارتكب من العظائم والفتك والشر لمشى حاله"[1].

15- سيرة الوليد بن يزيد فاسق بني أمية ت 126 هـ :

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الخليفة الفاسق أبو العباس ، ولد سنة 90 هـ ، وتوفي أبوه وهو صبي ، وتولى الخلافة من بعد عمه هشام سنة 125 هـ ، ولم تطل خلافته لأنه كان فاسقا منتهكا لحرمات الله فخرج عليه الناس قتلوه ، وكان عهده عهد إدبار دولة بني أمية ، فلم يصنع في خلافته شئ يذكر ، لأنه كان لا هيا عابثا بأمر الخلافة ، قتل خالد بن عبد الله القسري الذي كان قائما بتتبع الزنادقة وإطفاء الضلال ، وكا ن فسقه من أسباب ثورة الناس عليه ، ولم يزدد أمر الخلافة في عهده إلآ ضعفا وهوانا وإدبارا [2].

وقد ذمه المؤرخون وأئمة الجرح والتعديل ، واعتبروا خلافته فلتة وانحرافا في تاريخ الأمويين قال الحافظ ابن كثير:"فإنه لم يزدد في الخلافة إلا شرا ولهوا ولذة وركوبا للصيد وشربا للمسكر ومنادمة الفساق ، فما زادته الخلافة على ما كان قبلها إلا تماديا وغرورا ، فثقل ذلك على الأمراء والرعية والجند ، وكرهوه كراهة شديدة"[3] .

ومن شر ما صح من أفعاله شرب الخمر واللواط والمجاهرة بالفسق وقد بلغت به الجرأة إلى حد العزم على انتهاك حرمة الله فوق الكعبة بشرب الخمر مع الندامى ، وقد تواتر النقل بذلك عند المؤرخين وعلم به الناس فأرادوا الفتك به إن خرج فأخبره خالد القسري وأبى أن يذكر له أسماء من هموا بقتله ، فدفعه إلى يوسف بن عمر فعذبه حتى مات رحمه الله"[4].

قال السيوطي :"وكان فاسقا ، شريبا للخمر ، منتهكا حرمات الله أراد الحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة ، فمقته الناس لفسقه وخرجوا عليه فقتل في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين"[5].

وقد غالى في أمره بعض المؤرخين ورموه بالكفر والزندقة ، وحكوا عن هأنه تفاءل بالمصحف يوما فخرج قوله تعالى :"واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد" فمزق المصحف ورماه بالسهام وأنشد يقول :

أتوعد كل جبار عنيد *** فها أنا ذا جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوما *** فقل يا رب مزقني الوليد[6]

لكن أعلام النقاد من أئمة الجرح والتعديل لم يسلموا بصحة ذلك لاحتمال أن يكون ذلك من وضع الروافض الناقمين على بني أمية ، ولأنه هذه المصائب ونحوها رويت عنه في كتب الأدب خاصة من طريق المولعين بجميع الغرائب من الإخباريين ، ومثل هذا الأمر الصعب الذي هو إثبات كفر أو زندقة الوليد يحتاج فيه إلى شهادة العدول الثقات ولم يثبت ذلك.

قال الحافظ الذهبي :"مقت الناس الوليد لفسقه ، وتأثموا من السكوت عنه وخرجوا عليه ، ولم يصح عنه كفر

1 - "ميزان الاعتدال" : 1/ 466.
2 - انظر ترجمته في "تاريخ الطبري" : 7/ 208 ؛ "البداية والنهاية" : 10/ 7 ؛ "تاريخ الخلفاء" : 399.
3 - "البداية والنهاية" : 10/ 9.
4 - انظر "تاريخ الإسلام" : 5/ 175 ؛ "البداية والنهاية" : 10/ 23.
5 - "تاريخ الخلفاء" : 398.
6 - انظر "الأغاني" : 7/ 84 ؛ "الفخري في الآداب السلطانية" : 134 ؛ "مروج الذهب" : 3/ 216.

ولا زندقة ، نعم اشتهر بالخمر والتلوط"[1]. وكانت أيامه إيذانا بانحلال خلافة الأمويين ، حيث صار أمرهم في اضطراب إلى أن خرج عليهم بنو العباس.

16 سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس

بعد موت هشام بن عبد الملك سنة 125 هـ آل أمر بني أمية إلى الاندحار والانحلال ، وسقطت هيبة الخلافة بتولي الوليد الفاسق ثم خلع إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك وتولى مروان الحمار الذي خرج عليه الناس من كل جانب وصارت أيامه حروبا وفتنا ، انتهت بقيام الثورة العباسية واستيلاء أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس السفاح على الخلافة سنة 132 هـ[2].

وقد جرت في هذه الفترة فتن وحروب سفكت فيها دماء الأبرياء وانتهكت الحرمات ، إذ لم يقتصر أبو مسلم الخراساني وأبو العباس السفاك على قلب نظام الخلافة الأموية وتتبع رؤوس القائمين بالأمر آنذاك ، وإنما نزا كل منهما بسيفه لإبادة عرب المسلمين في خراسان ودمشق ، عملا بوصية إبراهيم بن محمد بن علي الإمام الذي قتله مروان بن محمد الحمار عام 132 هـ حين اطلع على كتابه إلى أبي مسلم الخراساني يأمره فيه بأن لا يبقى أحد بأرض خراسان ممن يتكلم العربية إلا أباده[3].

وسقوط دولة بني أمية في تلك المرحلة وقيام بني العباس بعدهم بالأمر كان أمرا مقبولا عند المحدثين لأجل مصلحة الإسلام والمسلمين ، لكن الطريق والوسيلة والأحداث التي جرت في المرحلة الانتقالية كانت جريمة وانحرافا في تاريخ المسلمين ، باء بإثمها أبو مسلم الخراساني وأبو العباس السفاح الثائر المبير كما سمى بذلك نفسه.

فأما أبو مسلم الخراساني فإنه كان بلاء عظيما وشرا مستطيرا على عرب خراسان وغيرهم من مسلمي تلك البلاد ، جرد سيفه على أبرياء المسلمين وسفك الدماء لتوطيد سلطان بني العباس ، فعاقبه الله بسوء قصده وقتل مذلولا مهينا على يد بني العباس أنفسهم عام 137 هـ بالمدائن[4] قال عند الإمام الذهبي :" هو شر من الحجاج وأسفك للدماء ، كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب ، من شاب دخل خراسان ابن تسع عشرة سنة على حمار بإكاف ، فما زال بمكره وحزمه وعزمه يتنقل حتى خرج من بعد عشر سنين يقود كتائب أمثال الجبال ، فقلب دولة وأقام دولة ، وذلت له رقاب الأمم وحكم في العرب والعجم ، وراح تحت سيفه ستمائة ألف أو يزيدون ، وقامت به الدولة العباسية وفي آخر أمره قتله المنصور سنة سبع وثلاثين ومائة"[5] .

وقال في موضع آخر :"وقد كان بعض الزنادقة والطغام من التناسخية اعتقدوا أن الباري سبحانه وتعالى حل في أبي مسلم الخراساني المقتول عندما رأوا من تجبره واستيلائه على الممالك"[6] .

أما أبو العباس السفاح فقد قتل من المسلمين لتوطيد سلطانه مالا يعد ولا يحصى ، ودخل دمشق وأباحها بالسيف ، بحيث صار لايبقي على أحد ظفر به من أهلها ، وذكر أعلام المؤرخين أنه أباح جامعها إسطبلا لدوابه وجماله سبعين يوما ، ثم نبش قبور بني أمية وتتبع أبناءهم من أولاد الخلفاء وغيرهم وقتل منهم خلائق لا يحصون وخرج عليه طوائف من المسلمين من أهل قنسرين وأهل بخارى فأعمل فيهم السيف وأباد منهم خلائق[7].

1 - "سير أعلام النبلاء" : 5/ 176 ؛ وانظر "تاريخ الإسلام" : 5/ 179.
2 - انظر "تاريخ الطبري" : 7/ 311 وما بعدها.
3 - انظر "البداية والنهاية" : 10/ 41.
4 - انظر ترجمته في "تاريخ الطبري" : 7/ 405 ؛ "تاريخ بغداد" : 10/ 207 ؛ "تاريخ الإسلام" 5/ 198.
5 - "ميزان الاعتدال" : 2/ 590.
6 - "سير أعلام النبلاء" : 6/ 67.
7 - انظر "تاريخ الطبري" : 7/ 437 ؛ "البداية والنهاية" : 10/ 47، 54 ، 58 ؛ "تاريخ الخلفاء" : 411.

قال الحافظ ابن كثير :"وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه ، وقد مضى ولم يدم له ما أراده ورجاه"[1] .

وبسبب هذا الطغيان والجبروت الذي افتتح به أبو العباس السفاح خلافته لم ينتظم له الأمر وخرج عليه أهل الآفاق ، قال السيوطي :"بدولته تفرقت الجماعة ، وخرج عن الطاعة ما بين تاهرت وطبنة إلى بلاد السودان وجميع مملكة الأندلس ، وخرج بهذه البلاد من تغلب عليها"[2].

وقد ظلت هذه الأحداث والجرائم التي ارتكبت في مطلع الخلافة العباسية وصمة عار في التاريخ الإسلامي في نظر الأئمة النقاد من المؤرخين وأئمة الجرح والتعديل ، مهما ادعى الخلفاء الأوائل منهم أنهم قاموا ابذلك لحماية دين الله في الأرض وإقامة العدل.

قال الإمام الذهبي بعد أن ساق ما ذكره المؤرخون من أن رسول اللهﷺ بشر العباس بأن الخلافة ستؤول إلى ولده :"قلت لم يصح هذا الخبر ولكن آل العباس كان الناس يحبونهم ويحبون آل علي ويودون أن الأمر يؤول إليهم حبا لآل رسول اللهﷺ وبغضا في آل مروان بن الحكم فبقوا يعملون على ذلك زمانا حتى تهيأت لهم الأسباب وأقبلت دولتهم في خراسان ... قلت : فرحنا بمصير الأمر إليهم ، ولكن والله ساءنا ما جرى ، لما جرى من سيول الدماء والسبي والنهب فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فالدولة الظالمة مع الأمن وحقن الدماء ، ولا دولة عادلة تنتهك دونه االمحارم وأنى لها بالعدل ؟ بل أتت دولة أعجمية خراسانية جبارة ، ما اشبه الليلة بالبارحة"[3].

فدعوى أبي العباس السفاح <u>أن الله أقامهم ليمن بهم على الذين استضعفوا في الأرض</u> وإقامة العدل في الناس ، كلمة حق كان من ورائها باطل أعقبتها أطماع وأهواء جرت على المسلمين بلاء عظيما في تلك المرحلة ، على أننا لم نعدم خيرا فيمن جاء بعد السفاح من الخلفاء ، كأبي عبد الله المهدي ت 169 هـ صاحب الزنادقة ، وهارون الرشيد ت 193 هـ صاحب المحاسن الكثيرة في إعزاز الإسلام والسنة وإذلال الكفار ، والمتوكل على الله ت 247 هـ ناصر السنة وغيرهم.

17- خلافة أبي جعفر المنصور ت 158 هـ :

وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو جعفر المنصور ، تولى الخلافة بعد أخيه أبي العباس السفاح سنة 136 هـ ، وكان من فحول خلفاء بني العباس هيبة وشجاعة وحزما وجبروتا جماعا للمال تاركا للهو واللعب ، جيد المشاركة في العلم والأدب ، ولي الخلافة بحد السيف وقتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه ودانت له الممالك إلا الأندلس[4].

وهو من أئمة الجور والعسف والظلم آذى خلقا من العلماء والصالحين رغم ما كان عليه من الحزم والشدة في أمر الجهاد وتوطيد الإسلام في البلاد ، فقد أذكى الفتنة بين آل العباس وآل علي ونكل بخلق من العلويين خرجوا عليه ، فكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى فرار كثير منهم إلى بلاد المغرب وتكوين دولة الأدارسة فيما بعد.

وقد كان أبو جعفر المنصور يزعم أنه سلطان الله في أرضه وخازنه على ماله ، وأن الله جعله قفلا عليه إن شاء فتحه وإن شاء أغلقه ، كما خطب بذلك في الناس على منبر عرفة[5].

1 - "البداية و النهاية" : 10/ 47.
2 - "تاريخ الخلفاء" : 411.
3 - "سير أعلام النبلاء" : 6/ 58.
4 - انظر ترجمته وأخباره في "تاريخ الطبري" : 7/ 421 وما بعدها ؛ "الكامل في التاريخ" : 4/ 324.
5 - راجع "البداية والنهاية" : 10/ 125.

وكأن جرائمه وسيئاته في الرعية كانت بأمر الله ، في حين أن شرع الله شئ ومجريات الخلافة شئ آخر ، ولذلك ذمه أئمة الإسلام وتبرؤوا من أفعاله.

قال الحافظ السيوطي :"وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين ، وكانوا م نقبل شيئا واحدا ، وآذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما ـ أي محمد وغبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ [1] أو أمر بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك ، منه مأبو حنيفة وعبد الحميد بن جعفر وابن عجلان ، وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد علي المنصور مالك بن أنس رحمه الله ، وقيل هل : إن في أعناقنا بيعة للمنصور فقال إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين"[2].

وقال في موضوع آخر :"وفي سنة ثمان وخمسين أمر المنصور نائب مكة بحبس سفيان الثوري وعباد بن كثير فحبسا ، وتخوف الناس أن يقتلهما المنصور إن أراد الحج ، فلم يوصله الله مكة سالما بل قدم مريضا ومات وكفاهما الله شره"[3].

ويعتبر من أشد خلفاء الدولة العباسية حزما ودهاء بمثابة عبد الملك بن مروان في بني أمية ، قال الحافظ الذهبي :"كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورايا وحزما ودهاء وجبروتا ... أباد جماعة كبارا حتى توطد له الملك ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس ، لكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة"[4].

18- حركة المقنع الخراساني 163 هـ :

وهو عطاء المقنع ، أحد كبار الزنادقة وأئمة الضلال والبدع ، نبغ في خراسان وقال بالتناسخ وادعى الربوبية ، وأظهر المخاريق ضد الخلافة فتبعه خلق من أهل خراسان في خلافة المهدي ، وقام بحركة مسلحة ضد الخلافة الإسلامية واستفحل أمره حتى قضى عليه المسلمون سنة 163 هـ [5].

وقد كشف أئمة الحديث وعلماء السنة ضلاله ، وعدوه في الزنادقة الذين كانوا يرمون إلى هدم وحدة الإسلام والمسلمين ، قال ابن كثير :"كان أولا قمارا ثم ادعى الربوبية مع أنه كان أعور قبيح المنظر ، وكان يتخذ له وجها من ذهب وتابعه على جهالته خلق كثير ، وكان يري الناس قمرا يدرى من مسيرة شهرين ثم يغيب فظم اعتقادهم له ومنعوه بالسلاح"[6].

وقال عنه الإمام الذهبي :" هو عطاء المقنع الساحر العجمي الذي ادعى الربوبية من طريق التناسخ ، وربط الناس بالخوارق والأ[حوال الشيطانية والأخبار عن بعض الغيبيات ، حتى ضل به خلائق من الصم البكم ، وادعى أن الله تحول إلى صورة آدم ولذلك أمر الملائكة بالسجود له ، وأنه تحول إلى صورة نوح ثم إبراهيم ، وإلى حكماء الأوائل ثم إلى صورة أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة ثم إلى إليه ، ومما أظلهم به من المخاريق قمر ثان يرونه في السماء ، وفي ذلك يقول أبو العلاء بن سليمان :

أفق أيها البدر المقنع رأسه *** ضلال وغي مثل بدر المقنع"[7].

---

1 - وهما اللذان قادا ثورة العلويين ضد أبي جعفر المنصور سنة 145 هـ فقتلهما.
2 - "تاريخ الخلفاء" : 147.
3 - المصر السابق : 419.
4 - "سير أعلام النبلاء" : 7/ 83.
5 - انظر أخباره في "المعرفة والتاريخ" : 1/ 149 ؛ "الكامل في التاريخ" : 6/ 51 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 7/ 306.
6 - "البداية والنهاية" : 10/ 149.
7 - "سير أعلام النبلاء" : 7/ 306 ، 307.

وقد استفحل أمره وخطره على الخلافة والإسلام ، فجهز له الخليفة المهدي الذي سلطه الله على الزنادقة جيشا بقيادة سعيد الحريثي سنة 163 هـ ، فشدد عليه الحصار بقلعة سنام بطرف خراسان من أعمال "كش"، فلما أحس بالهزيمة تحسى سما وسم نساءه فماتوا جميعا ، واستحوذ المسلمون على حوائطه وأمواله واحتزوا رأسه وبعثوا به إلى المهدي[1].

19-فتنة الأمين والمأمون 193 هـ - 198 هـ :

وكانت من أقبح البلايا والفتن التي تعرضت لها الأمة ، نتيجة الأطماع والأهواء السياسية لأبناء الرشيد التي راح ضحيتها خلق كثير من المسلمين ، ونهبت أموال الأمة ومصالحها ، وخربت بغداد ودثرت محاسنها ، وجرت شرور وفتن عظيمة بين المسلمين بسبب ذلك.

وكان سببها إمارة الصبيان المتلاعبين بمصالح الأمة ، وذلك أن هارون الرشيد عهد بالخلافة م نبعده إلى ابنه محمد الأمين وهو طفل صغير لم يدرك سن الاحتلام عام 182 هـ ، ثم جعل العهد من بعده لعبد الله المأمون وولاه ممالك خراسان بأسرها ، ثم بايع لابنه القاسم من بعد إخوته ولقبه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي[2].

فتولى الأمين الخلافة من بعد أبيه سنة 193 هـ ، وهو يومئذ شاب أرعن لا يصلح للخلافة فزين له سوء تدبيره وضعف عقله أن يعزل أخاه القاسم ويولي مكانه ابنه موسى ، ففعل ثم أرسل إلى المأمون يطلب تقديم ابنه عليه في العهد وسماه "الناطق بالحق" وهو إذ ذاك طفل رضيع ، فأبى المأمون وجرت بينهما حروب وويلات بذر فيها الأمين أموال بيت مال المسلمين وأنفقها على الجند لتحقيق أطماعه ، ف أفسد البلاد وأهلك العباد ، وبقي كذلك حتى ضعف أمره وشاتد عليه الحصا ر من طرف جند المأمون فظفرو ابه وقتلوه سنة 198 هـ[3] .

وقد جرت هذه الفتنة ويلات كثيرة على المسلمين آنذاك واعتبرها المحدثون وأئمة الإسلام مظهرا من مظاهر التلاعب بمصالح الأمة وأمر الخلافة ، التي آل أمرها إلى سفيه أرعن تسلط على الأمة يضرب بعضها ببعض بدافع الهوى والرعونة.

قال الإمام الذهبي :"فكان هذا أول وهن تم في الإسلام"[4] وذكر أئمة الجرحو التعديل أن الأمين كان فاسقا سئ التدبير أرعن كثير اللعب ، وأنه كان ينفق في بناء الملاهي وحب المغنين واقتناء الغلمان أموالا طائلة ، وكان يشرب الخمر ويتهم باللواط ، فأضاع أمر الأمة[5]. وقد قال عنه بعض الشعراء :

أضاع الخلافة غش الوزير *** وفسق الأمير وجهل المشير

فهذا يدوس وهذا يداس *** كذاك لعمري خلاف الأمور

وأعجب من ذا وذا أننا *** نبايع للطفل فينا الصغير

ومن ذان لولا انقلاب الزمان *** في العير هذان أو في النفير[6]

وقد ذكر الحافظ ابن كثير من ويلات هذه الفتنة ما نصه :"واشتد حصار بغداد ونصب عليها المجانيق

1 - انظر "البداية والنهاية" : 10/ 149.
2 - انظر "تاريخ الطبري" : 8/ 276 ؛ "تاريخ الخلفاء" : 462.
3 - راجع تفصيل ذلك في "تاريخ الطبري" : 8/ 365 ؛ "تاريخ الخلفاء" : 3/ 336 ؛ "العبر" : 1/ 325.
4 - سير أعلام النبلاء" : 9/ 290.
5 - انظر المصدر السابق : 9/ 334 ، 335 ؛ "البداية والنهاية" : 10/ 352 ؛ "تاريخ الخلفاء" : 474.
6 - "تاريخ الخلفاء" : 475.

والعرادات ، وضاق الأمين بهم ذرعا ولم يبق معه ما ينفق في الجند ، فاضطر إلى ضرب آنية الفضة والذهب دراهم ودنانير ، وهرب كثير من جنده إلى طاهر ، وقتل من أهل البلد خلق كثير ، وأخذت أموال كثيرة منهم ، وبعث الأمين إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأماكن ومحال كثيرة فحرقها بالنار لما رأى في ذلك من المصلحة ، فعل كل هذا فرارا من الموت ، ولتدوم له الخلافة فلم تدم ، وقتل وخربت دياره"[1].

وقال الحافظ السيوطي :"وبقي أمر الأمين كل يوم في الإدبار لانهماكه في اللعب والجهل وأمر المأمون في ازدياد إلى أن بايعه أهل الحرمين وأكثر البلاد بالعراق ، وفسد الحال على الأمين جدا ، وتلف أهل العسكر ، ونفذت خزائنه ، وساءت حال الناس بسبب ذلك ، وعظم الشر ، وكثر الخراب والهدم من القتال ورمي بالمجانيق والنفط حتى درست محاسن بغداد وعملت فيها المراثي"[2].

وبذلك أدبر أمر الخلافة وتفرقت كلمة المسلمين في تلك المرحلة ولعبت بهم أهواء صبيان بني العباس ، وكثر الفساد والتسيب والخراب واقتتل المسلمون قتالا شديدا اتباعا لأهواء و رعونات الأمين والمأمون اللذان أوبقا الأمة في فتنة لم تجن منها سوى خرط القتاد وإراقة الدماء ، قال ابن كثير :"واشتد الحال على أهل البلد وأخاف الدُعار والشُطار أهل الصلاح ، وخُربت الديار وثارت الفتنة بين الناس ، حتى قاتل الأخ أخاه للأهواء المختلفة ، و الإبن أباه ، وجرت شرور عظيمة واختلفت الأهواء وكثر الفساد"[3] .

وبالجملة فقد كانت هذه الفترة من تاريخ الأمة التي دامت خمس سنين مرحلة تسيب وفوضى وبلاء على المسلمين ، وتأمرت فيها الأهواء والرعونات الصبيانية ، فأفسدت أمر الأمة ، وعلى ذلك قول الشاعر :

تنقاد الأمور بأهل الرأي ما صلحت *** فإن فسدت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم *** ولا سراة إذا جهالهم سادوا

20- حركة القرامطة 278 هـ :

وهم جيل من الزنادقة تستروا بالإسلام وأظهروا التشيع وقاموا بأخطر حركة مسلحة في التاريخ الإسلامي ، كان مبدأ أمرهم على يد رجل يقال له حمدان أبو الفرج بن عثمان قرمط ـ بفتح القاف والميم أو بكسرهما في وجه آخر ـ أصله من خوزستان ، ظهر في سواد الكوفة منذ سنة 258 هـ فكان يظهر الزهد والتقشف واستمال إليه بعض الناس فاتخذ اثني عشر نقيبا وأسس لأتباعه دعوة على مذهب الشيعة الإسماعيلية ظاهرها الرفض وباطنها الزندقة والكفر المحض فهم يؤمنون بأن الكواكب السبعة السيارة "القمر وعطارد ، والزهرة والشمس والمريخ ، والمشترى زحل" هي مدبرة هذا العالم ، وأسس لهم مقامات شيطانية مفضية إلى ترك الشرائع والكفر بأحكام الله[4].

وقد كثر أتباعه في مختلف البلاد الإسلامية ، وقاموا بحروب مسلحة ضد الخلافة الإسلامية وعاثوا في الأرض فسادا ، منهم : زكرويه بن مهرويه ، وابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، كلاهما ظهر بناحية القطيف والبحرين ، وعلي بن الفضل باليمن ، وقام بنو القليص بن ضمضم بدعوته بين الشام والعراق ، وقد أعلنوا العصيان وبدأوا بالتحرك سنة 278 هـ .

وقد واتتهم الفرصة أمام ضعف الخليفة العباسي وتلاعب الترك بمنصب الخلافة ، فاستفحل أمرهم واشتد

1 - "البداية والنهاية" : 10/ 249.
2 - "تاريخ الخلفاء" : 476.
3 - "البداية والنهاية" : 10/ 248.
4 - انظر ترجمته في "المنتظم" : 5/113 ؛ "الكامل في التاريخ" : 7/147 ؛ "النجوم الزاهرة" : 3/128 ؛ "الأعلام" : 6/35.

خطرهم على البلاد الإسلامية فأغاروا على البرصة في ايام الخليفة المعتضد واستولوا على بلاد هجر وما حولها وقتلوا من حولهم من أهل القرى من المسلمين ، ثم ساروا إلى دمشق سنة 290 هـ بزعامة يحيى بن زكرويه القرمطي فحاصروها وهزموا جيش الخليفة ، وقتل طاغيتهم يحيى فخلفه أخوه الحسين صاحب الشامة ، فدخلوا دمشق وقتلوا بها خلقا كثيرا من المسلمين ونهبوا أموالهم ، ثم ساروا إلى حماة وحمص ومعرة النعمان وقهروا أهلها واستباحوا أموالهم وحريمهم ، فصاروا يقتلون الدواب والصبيان في المكاتب ويستبيحون وطء الجماعة للمرأة الواحدة[1].

ثم استفحل خطرهم وقويت شوكتهم إلى ان دخلوا المسجد الحرام سنة 317 هـ وبذلوا السيف في المسلمين فقتلوا خلقا من الحجاج وانتهبوا أموالهم ، وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن كثير منهم في أماكنهم ، ثم اقتلعوا الحجر الأسود فساروا به إلى بلادهم وبقي عندهم حتى سنة 339 هـ فردوه إلى الكعبة ، وكان قائدهم في هذه الجريمة أبو طاهر بن الحسين الجنابي اللعين[2].

ثم ركدت حركتهم إلى أن ظهر عبيد الله بن ميمون القداح الأهوازي الملقب بالمهدي ، واقام دولة العبيديين الروافض ، فصارت لهم صولة في بلاد مصر والمغرب ، واندمج أكثرهم في طوائف الإسماعيلية والنصيرية ، وقد استمرت حركتهم إلى أزمنة متأخرة في اللاذقية ونجران واليمن وفي القطيف غرب الخليج الفارسي[3].

وقد كشف المحدثون النقاد أباطيلهم ومكائدهم وجرائمهم التي ارتكبوها ضد الإسلام والمسلمين واعتبروهم زنادقة مارقون من أخطر الطوائف على الإسلام والمسلمين.

قال ابن الجوزي :"اعلم أن مذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم وعزل العقول أن تكون مدركة للحق"[4]. وقال في موضع آخر :"وقصدوا إبطال الإسلام ورد الدولة الفارسية ، وأخذوا يحتالون في تضعيف قلوب المؤمنين ، وأظهروا مذهب الإمامية وبعض مذهب الفلاسفة"[5].

وقال ابن كثير :"وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك ، وكانا يبيحان المحرمات ، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل ، وأكثر ما يفسدون من جهة الروافض ويدخلون إلى الباطل من جهتهم"[6].

ثم تصدى لذكر جرائمهم ومظاهر كيدهم للإسلام والمسلمين ، ,أنهم كانوا ممالئين لدولة العبيديين الروافض الزنادقة ، حيث قال عن طاغيتهم أبي طاهر القرمطي حين دخل المسجد الحرام : وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في اشلهر الحرام ... وهو يقول : انا الله وبالله أنا ، يخلق الخلق وأفنيهم أنا ، فكان الناس يفرون منه ، فيتعلقون بأستار الكعبة ، فلا يجدي ذلك عنهم شيئا ... وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ، ونزع كسوتها عنها ، وشققها بين أصحابه ، وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيتقتلعه ، فسقط على أم رأسه فمات إلى النار ، ثم أمر بأن يقلعالحجر الأسود ، فجاء رجل فضربه بمثقل في يده ، وقال : أين الطير الأبابيل ، أين الحجارة من سجيل ؟! ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه معهم حين راحوا إل ىبلادهم ... وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كفار زنادقة ، وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين

1 - راجع "البداية والنهاية" : 11/86 ، 88 ، 91 ، 102.
2 - انظر "المنتظم" : 6/336 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 15/320.
3 - انظر"المنتظم" : 5/118 ؛ "الأعلام" : 6/35.
4 - "المنتظم" : 5/115.
5 - المصدر السابق : 5/118.
6 - "البداية و النهاية" : 11/65 ، 66.

نبغوا في هذه السنة ـ أي 317 هـ ـ ببلاد إفريقية في أرض المغرب ، ويلقب أميرهم بالمهدي ...وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه ويترامون عليه"[1].

ثم قال :"وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا في الحرم إلحادا بالغا عظيما ، ,انهم م نأعظم الملحدين الكافرين ، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله ، فلماذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة ، بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار والله سبحانه يمهل ويملي ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر"[2].

وقد صنف في كشف مكائدهم وفضائحهم طائفة من أهل السنة منهم الإمام أبو بكر الباقلاني في كتابه "هتك الأستار وكشف الأسرار" رد به على كتاب "البلاغ الأعظم والناموس الأكبر" الذي ألفه بعض قضاتهم بمصر ايام العبيديين.

وقد انعقد إجماع من يعتد بأقوالهم من علماء السنة أن القرامطة طائفة من الملاحدة المارقين الذين أظهروا الإسلام وتستروا بالتشيع ، وأنه لاحظ لهم في ملة الإسلام ، بل كانوا يرمون إلى تقويض افسلام وهدم وحدة المسلمين ، وهذا هو الذي نعتقد وندين الله به في أمر هذه الطائفة ولا يغرنا بعد ذلك ما يزعمه طائفة من المتطفلين على تفسير التاريخ الإسلامي من كتاب العصر ، من أن القرامطة كانوا حركة إصلاح ينشدون العدل والحرية ، وان التاريخ لم ينصفهم لحد اليوم[3] .

21– إمارة العبيديين الروافض 296 هـ - 567 هـ :

وهم طائفة الخلفاء الذين ملكوا القيروان والديار المصرية وتسموا بالفاطميين" ، وقد تستروا بالإسلام وأظهروا الرفض ، وهم زنادقة ملاحدة أدعياء ادعوا أنهم من آل بيت رسول الله r وانطلى أمرهم على جهلة الناس بالمغرب والقيروان ومصر ، ثم افتضح أمرهم لدى أئمة الإسلام وظهر كذبهم فيما ادعوا من الإنتساب لآل البيت ، وظهر من جرائمهم وفضائحهم ما دعا ائمة الحديث وعلماء السنة إلى الحكم بكفرهم لأنهم زنادقة مارقة لم تصح إمامتهم للمسلمين ، ومن ثم جرى المؤرخون من أئمة الحديث على اعتبارهم خارجين عن الملة وأن خلافتهم كانت مروقا وانحرافا في تاريخ الإسلام.

وكان مبدأ أمرهم على يد عبيد الله المهدي المدعي أنه علوي فاطمي ، ولد بسلمية بلد من أعمال حماة بسوريا سنة 259 هـ وابوه على راي المحققين هو ميمون القداح كان صباغا بسلمية ، وكان يهوديا فادعى الإسلام ولم يكن صادقا ، وقد رحل عبيد الله عن سلمية بعد أن طلبه الخليفة العباسي المكتفي بالله فدخل المغرب وادعى أنه علوي ، فبايعه أهل القيروان وصارت له دولة هناك عام 297 هـ ، وملك تاهرت وسجلماسة ثم أسس مدينة المهدية عام 303 هـ ، واتخذها قاعدة لملكه وبقي بها إلى أن مات عام 322 هـ [4].

ثم قام بأمر العبيديين من بعده ابنه القاسم الملقب بالقائم بأمر الله ، ثم بعده المنصور ، ثم المعز لدين الله الذي ملك الديار المصرية وبنى القاهرة وتوفي عام 356 هـ ، ثم من بعده ابنه عبد العزيز نزار ت 286 هـ ، ثم طاغيتهم الأكبر الحاكم بأمر الله ت 411 هـ ، الذي ملك الشام والحجاز والمغرب ومصر وكان من أظلم خلق الله وأخبثهم زنديقا كافرا قال عنه الذهبي :"وكان شيطانا مريدا خبيث النفس متلون الاعتقاد سمحا جوادا سفاكا للدماء ،

1 - المصدر السابق : 11/171 ، 172.
2 - المصدر السابق : 11/173.
3 - أمثال إسماعيل المير علي الذي يقول :"إن الحركة القرمطية حركة ثورية مؤثرة ذا تأهداف اجتماعية قد تعرضت للسفه التاريخي من قبل جمهرة المؤرخين المتعصبين الذين كانو ايكتبون ويدونون بعواطفهم وغرائزهم فقط" (القرامطة والحركة القرمطية في التاريخ : 127).
4 - انظر ترجمته في "وفيات الأعيان" : 1/272 ؛ "سير أعلام النبلاء" : 15/141 ؛ "البداية والنهاية" : 11/191.

قتل خلقا من كبراء دولته صبرا وأمر بشتم الصحابة وكتبه على أبواب المساجد ... وكان المسلمون وأهل الذمة في ويل وبلاء معه"[1] .

وقال ابن كثير :"وقد كان يروم أن يدعي الألوهية كما ادعاها فرعون فكان أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدانهم صفوفا ، إعظاما لذكره واحتراما لاسمه ، فعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين ، وقد كان أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدا له ، حتى إنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم"[2].

وختمت دولتهم بالعاضد لدين الله ت 567 هـ ، وكان جملتهم أربعة عشر ملكا متخلفا لا مستخلفا ، لأن خلافتهم لم تصح عند أئمة الإسلام ، وحكمهم بلاد مصر والشام والمغرب كان اغتصابا وتسلطا على رقاب المسلمين ، وقد ذمهم أئمة الجرح والتعديل من جهتين :

أولا : ادعائهم النسب الفاطمي

فقد كذبهم أئمة الإسلام من علماء الحديث والنسب والقضاة والفقهاء في دعواهم وأثبتوا أنهم أدعياء ، وكتبوا بذلك محضرا في بغداد سنة 402 هـ ، بحضور جماعة من العلماء وصنفوا في ذلك كتبا ومؤلفات .

ومنهم الإمام أبو بكر الباقلاني الذي ألف كتابا يقدح به في نسبهم وعقيدتهم سماه "كشف الأسرار وهتك الأستار" ذكر فيه فضائحهم وفضائح القرامطة الذين كانوا أولياءهم كما ذكر ابن كثير[3].

قال الباقلاني :"القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسيا ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي ، ولم يعرفه أحد من علماء النسب ، وسماهم جهلة الناس الفاطميين"[4].

وذكر ابن كثير وغيره ملخص المحضر الذي كتبه علماء بغداد سنة 402 هـ ، في الطعن في نسبهم فقال :"وإنما نسبهم غلأى عبيد بن سعيد الجرمي ، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدثين وشهدوا جميعا أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار ، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد ، لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج ، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، ولا يتعلقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم وأن الذي ادعوه باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أحدا من أهل بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة..."[5].

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة عبد الله المهدي :"وادعى هذا المدبر أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق ، فقال : أنا عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ... والمحققون على أنه دعي بحيث إن المعز منهم لما سأله السيد ابن طباطبا عن نسبه قال : غدا أخرجه لك ثم أصبح وقد ألقى عرمة من الذهب ، ثم جذب نصف سيفه من غمده ، فقال : هذا نسبي وأمره بنهب الذهب وقال : هذا حسبي"[6].

وقد تجرأ المؤرخ ابن خلدون على إثبات هذا الباطل والانتصار له عند كلامه عن العبيديين ، حيث

1 - "العبر في خبر من غبر" : 1/105 ، 106.
2 - "البداية والنهاية" : 12/10.
3 - انظر المصدر السابق : 12/287.
4 - انظر "تاريخ الخلفاء" : 15.
5 - "البداية والنهاية" : 11/369 ؛ وانظر "المنتظم" : 7/255 ؛ "العبر" : 3/76.
6 - "سير أعلام النبلاء" : 15/141 ، 142.

قال :"وأولهم عبيد الله المهدي محمد بن الحبيب بن حعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم بالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن في نسبهم وشهد فيه أعلام الأئمة ... مع أن طبيعة الوجود في الانقياد لهم وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أدل شئ على صحة نسبهم"[1].

وهذا من أعجب العجب واقبح الاستدلال ، فإن الأنساب لا تثبت بطبائع الوجود وقواعد العمران وغير ذلك من مسائل فلسفة التاريخ التي يلهج بها ابن خلدون في مقدمته ، وعلم النسب والأخبار صناعة لها قواعدها واصحابها الذين يؤخذ عنهم هذا العلم ، وابن خلدون لم يكن جاهلا بهذه الأمور ، وإنما حمله على إثبات نسب العبيديين إلى آل البيت دهاؤه وانحرافه عن آل البيت ، حتى يلتصق عهد العبيديين الأسود بتاريخ آل البيت ، وكان المؤرخ المقريزي لانتسابه للعبيديين يفرط في تعظيم ابن خلدون لأجل ذلك وابن خلدون إنما فعل ذلك دهاء وعنادا .

وقد تنبه لذلك الحافظ ابن حجر حيث قال :"والعجب أن صاحبنا المقريزي كان يفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر ، واشتهروا بالفاطميين إلى علي ويخالف غيره في ذلك ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم ويقول : إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي[2] ، وكان صاحبنا ينتمي إلى الفاطميين فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبتهم وغفل عن مراد ابن خلدون ، فإنه كان لانحرافه عن آل البيت يثبت نسب الفاطميين إليهم ، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين وكون بعضهم نسب إل ىالزندقة وادعى الألوهية كالحاكم، وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرفض حتى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة ، وكانوا يصرحون بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم ، فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل علي حقيقة التصق بآل علي العيب وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم"[3] .

• ثانيا : عقيدتهم الفاسدة وغرضهم السيء :

فإن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام ، أظهرو اسب الأنبياء واباحوا الخمور واستحلوا الفروج ، والخير منهم كان رافضيا خبيثا يبغض أصحاب رسول الله r ويسبهم.

قال الباقلاني :"كان المهدي عبيد الله باطنيا خبيثا حريصا على إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق وجاء أولاده على أسلوبه أباحوا الخمور والفروج وأشاعوا الرفض" [4] .

وقال أبو الحسن القابسي :"إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف ليردوهم عن الترضي على الصحابة فاختاروا الموت ، فياحبذا لو كان رافضيا فقط ولكنه زنديق"[5].

وورد في المحضر الذي كتبه علماء بغداد :"وإن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه مفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدو ن، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، احلوا الخمر ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء ، ولعنوا السلف ، وادعوا الربوبية"[6].

وبذلك اعتبر أعلام المؤرخين عهدهم صفحة سوداء في تاريخ المسلمين ، فرح المسلمون بطيها وزوال

1 - "تاريخ ابن خلدون" : 4/64.
2 - وهذا قدح في عدالة أولئك الأئمة الأعلام ، تمحله ابن خلدون تعصبا وعنادا.
3 - "رفع الإصر عن قضاة مصر" : 2/347 ، 348.
4 - "تاريخ الخلفاء" : 16.
5 - المصدر السابق : 17.
6 - انظر "العبر في خبر من غبر" : 2/77 ؛ "البداية والنهاية" : 11/369.

دولتهم ، التي اجتلبت على الأمة شرا وبلاء عظيما ، تمثل في شيوع البدع والمنكرات ودخول الصليبيين عن طريقهم وبممالأتهم إلى بلاد الشام[1] ، قال العماد ابن كثير :"وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم وأنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة ، ظهرت في دلوتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد ، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية و الحشيشية ، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان والكرك والشوبك وطبرية وبانياس... وبلاد شتى غير ذلك ، وقتلوا من المسلمين خلقا وأمما لا يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام ، وأخذوا من أموال المسلمين مالا يحد ولا يوصف ، وكادوا أن يتغلبوا على دمسق ولكن الله سلم ، وحين زالت أيامهم وانتقض إبراهيم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين"[2] . وقد فرح المسلمون بزوال دولتهم وانقراضها ، وأنشد الشعراء في ذلك قصائد طويلة ، فمما قاله بعضهم بعد مو ت العاضد آخر خلفائهم :

توفي العاضد الدعي فما *** يفتح ذو بدعة بمصر فما

وعصر فرعونها انقضى وغدا *** يوسفها في الأمور محتكما

واهتز عطف الإسلام من جلل *** وأفتر ثغر الإسلام وابتسما[3]

22- مكيدة ابن العلقمي وسقوط الخلافة العباسية ببغداد 656 هـ :

كا نسقوط الخلافة العباسية ببغداد وما زامن ذلك من الأحداث من أعظم المصائب والفتن التي حلت بالمسلمين ، بحيث لم يعرف مثبلها في التاريخ لما جرى فيها من سفك الدماء وإبادة خلق عظيم من المسلمين ، وتخريب البلاد على يد التتار الذين زحفوا على بلاد الإسلام بممالاة وزير السوء ورأس المكيدة مؤيد الدين ابن العلقمي ت 656 هـ وزير المعتصم آخر خلفاء العباسيين ببغداد[4].

وقد جرى بعض المؤرخين على ذكر أحداث زحف التتار على البلاد الإسلامية وتسلطهم على المسلمين في بغداد وإطاحتهم بالخلافة العباسية ، وإرجاع ذلك كله إلى قوة الأسباب الخفية التي كانت من وراء هذه الحادثة العظمى في التاريخ الإسلامي .

وقد سار أئمة الجرح والتعديل من علماء التاريخ على عكس ذلك فأثبتوا أن هذه الحادثة كان تجريمة ومكيدة دبرها عميل التتار ورأس المنافقين الرافضي مؤيد الدين ابن العلقمي الذي كان صاحب الأمر والنهي في خلافة المستعصم لمدة أربعة عشر سنة ، مع جماعة من أصحابه.

فقد ذكر المحققون من أئمة التاريخ أن المستعصم كان متدينا متمسكا بالسنة كأبيه المنتصر ت 640 هـ ، ولكن هلم يكن مثله في الحزم والتيقظ ، وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي من رجال الدهر شهامة وشجاعة ، وكان الناس قد تسامعوا بخروج التتار وقصدهم بلاد الإسلام ، فكان الخفاجي يقول :"إن ملكني الله الأمر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون ، وأنتزع البلاد من التتار ، فلما توفي المستنصر لم ير الدويدار وابن العلقمي وكبار رجال الدولة تقليد الخفاجي الأمور وخافوا منه ، وآثروا المستعصم للينه وانقياده ليكون الأمر لهم ، وركن المستعصم لابن

1 - فإن المستعلي الفاطمي لما رأى قوة المسلمين السلاجقة بالشام دعا الصليبيين للهجوم عليها (انظر "تاريخ الخلفاء" : 679)
2 - "البداية والنهاية" : 12/287.
3 - المصدر السابق : 12/284.
4 - راجع "سير أعلام النبلاء" : 23/362 ؛ "دول الإسلام" : 2/122 ؛ "فوات الوفيات" : 3/252.

العلقمي الذي صار يدبر الأمر كما شاء[1].

وقد كان ابن العلقمي هذا رافضيا خبيثا معاديا لملة الإسلام سئ الغرض والنية قال عنه الحافظ المؤرخ ابن كثير :"وزير سةء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين ، مع أنه كان من الفضلاء في الإنشاء والأدب وكان رافضيا خبيثا ردئ الطوية على الإسلام وأهله ، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء ثم مالأ على الإسلام وأهله الكافر هولاكو خان ، حتى فعل ما فعل بالإسلام وأهله"[2].

وقد ذكر أعلام المؤرخين أنه كان مدبر هذه الجريمة التي قصد بها غبادة المسلمين من أهل السنة ، بحيث طرد كثيرا من الجنود وصرفهم عن وظائفهم ، وأرسل إلى هولاكو وأطلعه أسرار الخلافة وشجعه على الزحف على بغداد لينال عنده الحظوة والمكانة وينتقم من أهل السنة الذين جرت بينهم وبين الرافضة حرب عظيمة سنة 655 هـ نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة ببغداد ، حتى نهبت دور قرب دار الوزير ابن العلقمي[3] ، فاشتد حنقه على أهل السنة مع ما كان فيه قبل ذلك من تدبير المكيدة للمسلمين والخليفة مع جماعة من أصحابه منهم نصير الدين الطوسي ت 672 هـ[4] .

قال ابن كثير :"وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط أسهم من الديوان ، فكان تالعساكر في آخر ايام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر ، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أ، لم يبق سوى عشرة آلاف ، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعا منه أن يزيل السنة بالكلية ، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين ، ,أن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره"[5] .

وقال السيوطي :"ثم ركن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي ، فأهلك الحرث والنسل ولعب بالخليفة كيف أراد ، وباطن التتار وناصحهم ، وأطمعهم في المجئ إلى العراق وأخذ بغداد وقطع الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل علي ، وصار إذا جاء خبر منهم كتمه عن الخليفة ، ويطالع بأخبار الخليفة التتار إلى ان حصل ما حصل"[6].

وبذلك دخلت جيوش التتار بغداد ، فكان أول من برز لهم ابن العلقمي ، وزين للخليفة أن يخرج إليهم في جماعة من القضاة والعلماء وأولي الحل والعقد ليقع الصلح مع هولاكو ، ثم سار إلى هولاكو وأشار عليه بقتلهم وألا يقبل الصلح منهم ، قال ابن كثير :"وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هؤلاء ألا يصالح الخليفة ، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا ، إلا عاما أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة ... فباءوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء وأولي الحل والعقد ببلاده ، ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ودحول كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقنى الوسخ وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون"[7].

---

1 - انظر "تاريخ الخلفاء" : 727.
2 - "البدايةو النهاية" : 13/225.
3 - انظر "سير أعلام النبلاء" : 23/362 ؛ "البداية و النهاية" : 13/215.
4 - راجع ترجمته في "فوات الوفيات" : 2/149 ؛ "الوافي بالوفيات" : 1/179 ؛ "شذرات الذهب" :5/339.
5 - "البداية والنهاية" : 13/215.
6 - "تاريخ الخلفاء" : 738.
7 - "البداية والنهاية" : 13/214 ، 215.

وجرت بعد ذلك مصائب وهنات بسطها المؤرخون ، فكانت الحادثة من أبشع الجرائم التي ارتكبت في تاريخ المسلمين ، وقد أراد ابن العلقمي بذلك أن يقيم دولة الرفض ، ,اشار على هولاكو أن يقيم ببغداد خليفة علويا فلم يوافقه ، فصار معهم ذليلا حقيرا ثم توفي بعد ثلاثة أشهر[1].

قال ابن كثير :"والله غالب على أمره ، وقد رد كيده في نحره وأذله بعد العزة القعساء ، وجعله حوشاكا للتار بعدما كان وزيرا للخلفاء ، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال...فلم يمهله الله ولا أهمله بل أخذه أخذ عزيز مقتدر ... فمات جهدا وغما وحزنا وندما إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم"[2].

فسقوط الخلافة الإسلامية ببغداد لم يكن أمرا طبيعيا ، كما هي العادة في نهاية أعمار الدول بعد هرمها وشيخوختها ، بل كان مكيدة دبرها أعداء الإسلام من خبثاء النفوس الذين قوضوا أركان الخلافة من الداخل ، بإضعاف العدة وتعريض البلاد إلى أيدي الأعداء.

وإذا كنا نعجب من كيد هؤلاء المجرمين الذين باعوا الخلافة وبلاد المسلمين لأقوام متوحشين لا يعرفون للحضارة معنى ، فإن عجبنا يشتد جين نجد اليوم من يدافع عن هؤلاء ويعتبرهم بناة الحضارة ، ضاربا بحقائق التاريخ عرض الحائط ، ومن هؤلاء بعض دعاة الفكر الحر كعبد المتعالي الصعيدي الذي يعتبر نصير الدين الطوسي مجدد القرن السابع [3].

ناهيك عن الدفاع المستميت الذي قام به الأستاذ حسن الأمين عن ابن العلقمي في دراسة عن كتاب "جامع التواريخ" للمؤرخ رشيد الدين الهمداني ت 718 هـ مؤرخ دولة المغول ، نشرها بمجلة العربي عام 1973م ، فاعتبر ابن العلقمي رأس المجاهدين الذين كانوا يعقدون المجالس ويسعون في إعداد العدة والقيام بالتدابير اللازمة لرد عادية التتار ، لكن الخليفة بخل عليه بالمال فانهار جيش المسلمين وضاع كل شئ.

ثم يزيد إمعانا في هذا الباطل وتحريف الحقائق فيقول بأن قاضي القضاة شمس الدين القزويني كان هو المحرض للتتار على غزو المسلمين لأنه كان لا يحتمل وجود الإسماعيليين في قلاعهم المنيعة التي ارتدت عنها جحافل التتار ، فكان لا يفتأ يتوسل إلى جينكيز خان بمختلف الوسائل ليحمله على توجيه هولاكو لغزو القلاع الإسماعيلية[4]، إلى غير ذلك من الأباطيل التي لا نجدها عند أحد من المؤرخين ، والتي لا تستحق أن نقيم لها وزنا أو نرد عليها لأنها لا تستند إلى أساس علمي أصيل.

Table of Contents

1 - انظر "تاريخ الخلفاء" : 750.
2 - "البداية والنهاية" : 13/215 ، 216.
3 - انظر كتابه "المجددون في الإسلام" : 260.
4 - انظر مقاله : "رشيد الدين الهمداني وكتابه جامع التواريخ" محلة العربي عدد 174 ص 108 سنة 1973.